الفصل الرابع

العلاقات الإنسانية والتربية

* مشكلة البحث وأهميته :

أى مجتمع فى أى زمان . وفى أى مكان يتطلب نوعا من التربية . وهو فى هذا يسعى نحو الأفضل . ويخطط لصورة مستقبلية للفرد وللمجتمع على السواء . ولا شك أن هذا يتطلب أهدافا معينة يقوم على تحديدها رجال التربية وفلاسفتها . والمصلحون والمفكرون فى المجتمع .

واستمرارا فى السعى نحو تحقيق الأهداف التربوية . تقوم الادارات التعليمية بتوجيه العملية التربوية . فتصدر المناهج والنشرات التعليمية فى ظل النظم التربوية ، ثم تقوم المدرسة بتنفيذ تلك السياسات والبرامج التعليمية .

والمدرس هو العقل المنفذ ، لتحقيق تلك الأهداف . فهو يقوم بأداء العملية التربوية مع تلاميذه ، ويقاس مدى تقدمها ونجاحها ، بمدى تقدمه ونجاحه فى الأداء .

وبهذا فالعملية التربوية (أى عملية تربوية) تمر بمراحل متعددة ، يكتنفها أفراد متعددون بدءا من رجل التربية المتخصص ، وانتهاء بالمعلم فى الفصل الذى ينفذ فيه مع تلاميذه العملية التربوية .

ومعنى ذلك أن التربية تحتاج الى اطار ينير لها الطريق ، ثم سياسة تعليمية تتضمن « مجموعة من الأغراض المحددة تتميز بالترابط والتكامل »[1] وتأتى فى المرحلة الثالثة الاستراتيجية التربوية التى « تعنى الجهد المبذول من أجل الاختيار بين السبل والطرق المتعددة لبلوغ الأغراض التربوية التى تبلور بعض الأهداف النهائية »[2] .

---

(١) محمد الهادى عفيفى ، فى أصول التربية ، الأصول الفلسفية للتربية مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ ، ص ٥٨

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٤ .

ويأتى بعد الاستراتيجية . التخطيط التربوى . الذى يعد بمثابة « جهد مبذول من أجل التحكم فى مستقبل نشاط أو مجموعة من الأنشطة . ومحاولة توجيه حركة هذا النشاط أو مجموعة الأنشطة نحو مراميها أو الأهداف المحددة لها بقصد الوصول الى أقصى درجة من الانجاز والكفاءة »[٣] .

واذا كانت التربية (أى تربية) لابد وأن تشتق أهدافها من حياة الجماعة وحياة أفرادها . فان العلاقات الانسانية بين أفراد الجماعة تلعب دورا أساسيا فى التطبيق التربوى لفلسفة الجماعة ومخططاتها التربوية .

ومهما اختلفت الآراء حول فلسفة الجماعة وأيديولوجيتها ؛ فان علاقة التربية لا بد وأن تدور فى فلكها عملا وتطبيقا أيا كان نوعها وشكلها .

واذا كانت الفلسفة تعنى فى رأى رجل الاقتصاد ؛ مفهوما يقوم على زيادة الانتاج وتحقيق التنمية الشاملة ؛ فان علاقة رجل التربية بهذا المفهوم وفى ظل تلك السياسة . هو تزويد القطاعات المنتجة بالأفراد المؤهلين بشكل مهارى وكفؤ .

وحتى فى المجال السياسى ؛ فالعلاقة قائمة بين رجل السياسة الذى يريد تنظيم المجتمع على أساس من المشاركة الجماعية للجماهير فى اتخاذ القرارات وبين التربية . حين تهدف الى اعداد الفرد الذى يتمكن من تنفيذ هدف رجل السياسة .

واذا صح أن فكرة الجماعة بجميع طوائفها ؛ تشكل الأنماط التربوية ؛ فلا غرابة أن تكون المشاركة والعلاقات الانسانية بين جميع العاملين فى تلك الطوائف أمرا حتميا ؛ مهما اختلفت أو تنوعت تلك الطوائف والمؤسسات . سواء منها الاقتصادية أو السياسية أو غيرها ، ذلك أن المجتمع عبارة عن جماعة من البشر ؛ ينتمون الى مكان واحد وتجمعهم — فى الغالب — عادات وتقاليد ولغة مشتركة .

والعلاقات تضيق وتتسع وفقا لحجم الجماعة ضيقا واتساعا ؛ فالمجتمع الواسع ؛ يتسع فيه العمل ويكثر ؛ ويتنوع ويتشكل طبقا لظروف الأفراد وحاجة المجتمع ؛ وحين يضيق المجتمع يضيق العمل كما تتشابه أنواع العمالة فى غالب الأحيان .

---

(٣) المرجع السابق . ص ٦٩

وعموما فأبسط صور الجماعة ؛ هى تلك التى توجد بينها ظروف متشابهة . ولذلك فهى تشترك فى عادات وتقاليد . وتتبادل المنافع بشكل مستمر يضمن للجماعة بقاءها ووجودها .

اذا صح كل ذلك . فان دراسة العلاقات الانسانية تبرز كضرورة ملحة فى التطبيق التربوى . خصوصا وقد قربت وسائط الاتصال المسموعة والمرئية والمكتوبة مضامين كثيرة تدور فى فلك العلاقات الانسانية . وقد بات علينا أن نفتش فى تراثنا . نستمد منه الاطار الصحيح ؛ فى رسم الأساليب القوية التى نحمى بها شبابنا ؛ ونبنى بها فلسفتنا التربوية فى ثوب يتناسب مع فكرنا الاسلامى ؛ ومناهجنا الاسلامية الصحيحة .

والواقع أن نظرة فاحصة فى مجتمعاتنا . نلمح فيها قصورا واضحا من الاهتمام بالعلاقات العامة والانسانية ؛ وقد يأتى التبرير من قبل أقطاب الادارة والاقتصاد والاجتماع فى الدول النامية ومنها مجتمعاتنا . أن الجمهور لا يستجيب للبرامج المخطط لها . ليس لأنه لا يريد ولكن لأنه لا يدرى . ومن هنا نسمع هذا القول : « العلاقات العامة لمن » ؟

من هذا المنطلق اهتمت القيادات المسئولة عن الخطط والبرامج التنموية فى تلك الدول بالتخطيط والتنفيذ والتقييم بالنظام المركزى ، مع ادراكها بوجود الرأى العام تدريجيا وحصول التقدم فى مجال التربية والتعليم الذى يعتبر من أهم المقومات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ولا مندوحة من الاعتراف بأن الحكومات المركزية فى البلاد النامية تريد أن تحقق أفضل النتائج التنموية والانشائية فى أقصر مدة حتى تلحق بالدول المتقدمة . وربما يأتى تبرير تلك الحكومات لسلوكها فيما يتصل بمركزية التخطيط والتنفيذ والتقييم ؛ أنه لا توجد قطاعات هامة من الجمهور . يمكن أن تتعاون معها ؛ بسبب وجود ألوان متعددة من الفقر والجهل والمرض . ومع ذلك فانه « ولحسن الحظ على أية حال أن نسبة الاعتراف بأهمية العلاقات العامة والاعلام الموجه تزيد تدريجيا وتسير جنبا الى جنب مع التقدم الذى تحققه الدول النامية فى المجالات التربوية والاقتصادية والاجتماعية »(٤) .

---

(٤) زكى راتب غوشة ، العلاقات العامة فى الادارة المعاصرة ، عمان الأردن ، ط ١ ، ١٩٨١ ، ص ١٨ ، ١٩

واذا كان الأمر كذلك . فمما لا شك فيه أن العلاقات العامة عموما والعلاقات الانسانية على وجه الخصوص . تشهد فى العصر الحاضر عنتا شديدا ومعاناة فى كثير من المؤسسات فى المجتمع ومنها المؤسسات التربوية المقصودة وغير المقصودة . والتى نلمح فيها قصورا ملحوظا فى هذا الجانب . ناهيك عن الآثار التى تترتب على هذا القصور سواء على مستوى الفرد أو الجماعة .

من هنا جاءت أهمية هـذه الدراسة . كمحاولة للكشف عن قيمة التطبيق التربوى للعلاقات الانسانية ومدى مساهمتها فى علاج الكثير من مشاكلنا التربوية .

* * *

*** تساؤلات البحث :**

أولا : ما مفهوم العلاقات الانسانية ؟ وما مظاهرها ؟ وما آثارها ؟

ثانيا : ما قيمة التطبيق التربوى للعلاقات الانسانية فى : (ا) مجال المدرسة ؛ (ب) مجال الأسرة ؛ (جـ) مجال المجتمع .

أولا ــ العلاقات الانسانية :

١ ــ مفهوم العلاقات على الاطلاق :

العلاقات العامة فى مفهومها المعاصر والشامل ؛ ان هى الا حصيلة التفاعلات الايجابية والسلبية . بين الجمهور بمختلف طبقاته الاجتماعية والاقتصادية والادارة الحكومية .

والتفاعل ايجابا وسلبا يتوقف على مستوى التقدم العام فى الدولة ؛ فيمـا يتعلق بنسبة المتعلمين . ومدى التقـدم القومى بكل جوانبه ؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والادارية والتكنولوجية . وهذا مؤداه أن الدولة كلما تقدمت . تحقق المزيد من التفاعل الايجابى بين الجمهور وادارتها المختلفة[٥] .

والعلاقات العامة عموما ليست جديدة أو حديثة ؛ بل هى قديمة ومتأصلة فى القدم اذ يرجع تاريخها الى الامبراطوريات والدول القديمة التى عاصرت فترات من التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر فى مختلف

---

(٥) زكى راتب غوشة . العلاقات العامة فى الادارة المعاصرة . مرجع سابق . ص ٣

فترات العالم . فمصر الفرعونية مثلا اهتمت بالعلاقات العامة . كما اهتمت الامبراطورية الرومانية بقوة الرأى العام . وأيضا اهتمت الادارة الاسلامية باحترام حقوق الفرد . وكذلك اهتمت بقضايا العدل والخير وأمور القيادة وسياستها .

ونلمح كذلك أن الامبراطور نابليون ، طلب مساندة جمهوره الفرنسى لحملاته العسكرية المختلفة . وغير ذلك كثير من الأمثلة التى تدعم وتؤكد العلاقة الوطيدة بين الدولة (أية دولة) وبين جمهورها فى ظل الاطار والنظام السياسى لتلك الدولة . نلمح ذلك عبر تاريخ الأمم منذ القدم حتى يومنا هذا[٦] .

وشأن العلاقات العامة . أنها خادمة للجمهور ، هادفة الى تثقيفه وتبصيره ببرامج الدولة واتجاهاتها . بما يتفق ومصلحة الفرد والصالح العام للجماعة .

والعلاقات العامة بذلك تدور فى فلك الاهتمامات والمجالات والمفاهيم والأفكار داخل كل مجتمع (أى مجتمع) بحيث تأتى العلاقات متوافقة مع المستويات الاقتصادية والاجتماعية . وأيضا مع العادات والتقاليد والقيم داخل المجتمع . لأن العلاقات تعكس المفاهيم والأفكار التى تدور داخل المجتمع[٧] .

ولعلنا بهذا ندرك أن العلاقات ينظر اليها من خلال المفهوم البيئى . لأن طبيعة العلاقات لا تقتصر على الجانب الاقتصادى أو الاجتماعى . بل ان لها علاقة بكل عناصر البيئة المحيطة بالمؤسسات داخل المجتمع . وهذا فى حد ذاته مبرر قوى . ودعم أكيد لاختلاف وجهات النظر حول مفهوم العلاقات العامة التى لن تأتى فى النهاية الا صدى لما يعتمل داخل المجتمع . وما يدور بين أفراده من اتجاهات وآراء .

وفى نظر الكاتب « مارشال ديموك » فان أساس العلاقات العامة يأتى فى القيم التى توجه العمل الحكومى وتجعله مستجيبا لمتطلبات واحتياجات الجمهور وأمانيه . ويقول « لورنس آبلى » : ان عمل المنظمة الادارية الذى يؤثر فى آراء جمهورها تجاهها هى العلاقات العامة . وأما وجهة نظر « جون مارستون » فان العلاقات العامة تعتبر وظيفة هامة من وظائف الادارة معنية بتحليل سلوك الجمهور لمعرفة اتجاهاته واحتياجاته . والعمل على وضع البرامج التى تتفق مع الصالح العام فى مقابلة هذه الاحتياجات .

---

(٦) المرجع السابق . ص ٤ (٧) المرجع السابق . ص ١

ولعل هذه التعريفات تشير جميعها الى أن الجمهور العام أو المباشر ثم جمهور الموظفين هى محل التركيز . ومناط الاهتمام . من حيث المضمون الجوهرى لمفهوم العلاقات[٨] .

ومما لا شك فيه أن علاقات الأفراد تتغير ، حسب تغير المجتمع وهذا شيء واضح يحدث فى كل المجتمعات . فالمجتمعات البدائية مثلا تقوم علاقة الأفراد فيها على مقـدار ما تجمعهم رابطة دم أو نسب و علاقات عائلية وقبلية أخرى . أما فى المجتمع الرأسمالى الصناعى مثلا فعلاقات الأفراد تتحدد حسب ما يجمع الأفراد من عمل صناعى مشترك . ولا دخل للعلاقات العائلية أو النسبية فى تحديد علاقة الأفراد بعضهم ببعض »[٩] .

والمغزى الرئيسى للعلاقات . هو محاولة استثمار العقـل الجمعى والتفكير الانسانى فى صنع القرار . بحيث يأتى القرار مدروسا من جميع النواحى الطبيعية المحيطة به دراسة عملية للوصول الى قرار سليم وواضح[١٠] .

ومن العوامل التى تؤثر فى علاقات الأفراد وفى صنع القرار . حجم المجتمع وعدد سكانه . فالمجتمع القليل السكان ؛ الصغير الحجم ؛ تتضاءل العلاقات فيه سواء فى داخل المجتمع أو خارجه مع مجتمع آخر . بمعنى أن التفاعل يتسم بعدم الفعالية . كما يتسم بالسطحية . وبالتالى تكون نتيجة تلك العلاقات ضعيفة وقليلة بالمقارنة مع مجتمعات أخرى كبيرة فى مساحتها . وفى عدد سكانها ؛ لأن زيادة السكان تحتم نوعا من العلاقات يتوافق مع المستوى الاقتصادى لذلك المجتمع ؛ فالمجتمع الذى يتسم بالانفجار السكنى . وموارده الاقتصادية ضعيفة . تنعكس تلك الصورة على علاقة الأفراد فتصبح أيضـا ضعيفة . أما المجتمع الذى يتمتع باقتصاد قوى فعلاقة أفراده تكون أيضا قوية[١١] .

وهذه النظرية فى العلاقات تعتمد على أن الغنى والانتاج والتجارة لها أهمية كبيرة فى تحديد علاقة الأفراد . وقد أكد ذلك « تيوسيدس » فى كتابه عن حرب « البولبنيز » .

---

(٨) المرجع السابق ، ص ١ ، ٢

(٩) أحمد جمال طاهر . نظريات فى العلاقات العامة . دار الشروق . جدة . ط ١٩٧٨ . ص ١٢٣

(١٠) المرجع السابق . ص ١٢٤

(١١) المرجع السابق ، ص ١٢٨ ، ١٢٩

هذا ولا يمكن لكائن من كان أن ينكر ما للاقتصاد والحياة المعيشية من أهمية فى توجيه سلوك الأفراد . فمن أجل أن يحيا الانسان لابد أن يأكل . وحتى يأكل لابد له أن يعمل . وعلى ذلك « فعوامل الانتاج والتوزيع والعمل عوامل رئيسية فى حياة الأفراد وعلاقتهم ببعضهم البعض . لم ينص على ذلك الفلاسفة فقط . بل أكدتها الكتب السماوية »[١٢] قال تعالى : « **فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور** »[١٣] وقال سبحانه : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »[١٤] .

ولكن اذا سلمنا بأهمية الاقتصاد فى تحديد علاقات الأفراد بين بعضهم البعض . فهل يعنى ذلك الاكتفاء بهذا العنصر فقط ؟ الواقع أنه على الرغم من أهمية العنصر الاقتصادى فى تحديد العلاقات بين الأفراد . الا أن هناك عناصر أخرى . لا تقل أهمية عن الاقتصاد ؛ بل انها تحتل الأهمية عنه . « فالدين مثلا عنصر هام جدا بل هو العنصر الأساسى فى تحديد علاقات الأفراد وليس الاقتصاد . حقا ان أحدا لا يغالى اذا قال ان الدين لا يحدد علاقات الأفراد فحسب . ولكنه يحدد أيضا الاقتصاد والانتاج والتطور والاختراعات »[١٥] .

واذا كان الدين له تلك الأهمية فى تحديد العلاقات . فان الدين الاسلامى لم يقتصر فى تشريعه على جانب العبادات . من صلاة أو صيام أو زكاة أو حج . بل نظم الاسلام كافة أنواع السلوك الانسانى فيما يتعلق بعلاقة الفرد بالفرد . والفرد بالمجتمع . وعلاقة الحاكم بأفراد الشعب وعلاقة الدولة الاسلامية بالدول الأخرى فى السلم أو الحرب . وأخيرا وأولا علاقة هؤلاء جميعا بالله رب العالمين .

نظم الاسلام كل هذه العلاقات تنظيما دقيقا لم ترق اليه النظم الوضعية . أو المبادىء الانسانية التى وضعها البشر . فبين كل أنواع الحقوق والواجبات . سواء ما كان منها متصلا بعلاقة الأفراد أو علاقة الدول[١٦] .

---

(١٢) المرجع السابق . ص ١٣٤ (١٣) الملك : ١٥

(١٤) الجمعة : ١٠

(١٥) أحمد جمال طاهر . نظريات فى العلاقات العامة . مرجع سابق . ص ١٣٧

(١٦) محمد رأفت عثمان . الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام . مطبعة السعادة . ط ٢ . القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م ، ص ٣

واذا كان الاسلام قد نظم تلك العلاقة . فى ظل العدل والمساواة . فانه يكون بذلك قد غض الطرف عن الأحساب والأنساب . فالكل متساو فى الحقوق والواجبات « **أن أكرمكم عنـد الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير** »[١٧] ، هذا بينما نجد أن المجتمعات المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية مثلا تعلى من شأن النظرة الاقتصادية . بل وتبنى عليهـا النظرة الاجتماعية . والعلاقات الانسانية . وليس هناك معيار للفرد سواء فى المدرسة أو فى البيت أو فى غيرهما الا بمقدار ما يحصله من مال . فالأفراد هناك يتعلمون مثلا أن « الأمانة هى أفضل السياسات » « أن تدخر فرشا معناه أنك تملك فرشا » « الوقت من ذهب » « الفضيلة أن تعمل وهذا صحيح ونافع وجيد ويمكنك أن تدخر للمستقبل »[١٨] ... وهكذا .

بيد أننا لو عدنا الى الاسلام لوجدناه « يربى الانسان كانسان بصرف النظر عن البيئة التى ينتمى اليها . وبصرف النظر عن الأسرة التى استمد منها مقومات حياته ؛ وبهذا يكون الاسلام قد غض الطرف عن الأحساب والأنساب والغنى والفقر ، ووضع مصلحة الانسان بالدرجة الأولى يربيه ؛ ويسعى فى ذلك فى مساواة كاملة وفى عدالة تامة .

ومما يدعم هذه الأدلة . أننا نلمح فى هذا القرن العشرين . والذى ارتقت فيه الحياة المـادية . ووصلت الى ذروتها من جراء الفكر المعاصر أن الانسانية لم تنعم بعد بثمرة هذا الرقى وذلك التقدم . حيث ان التركيز كان بالدرجة الأولى ينحو الى الجانب المـادى فقط ، مما ترتب عليه اختفاء القيم الأصيلة والروابط الأسرية والاجتمـاعية وانتشار الأمراض النفسية »[١٦] .

ومما يوحى أن النظرة الاقتصادية المـادية ؛ لم تحقق بعد اطارا سليما للعلاقات ، مما حدا ببعض المفكرين أن يجعل النظرية الايديولوجية

---

(١٧) الحجرات : ١٣

(١٨) أحمد جمال طاهر . نظريات فى العلاقات العامة . مرجع سابق ؛ ص ١٣٩

(١٩) محمد على المرصفى . « نظرة عامة حول التربية الاسلامية » ص ٣٩ ، ٤٠ . مجلة كلية التربية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ؛ العدد الثامن . محرم ١٤٠٢ هـ .

تلعب دورا لا يقل أهميه عن دور النظرية الاقتصادية أو غـيرها من النظريات فى علاقة الأفراد بعضهم ببعض[٢٠] .

وفى ضوء تلك القاعدة . وفى اطار تسليمنا بها . فان الدين الاسلامى يعتبر ارقى الفلسفات والنظريات والايديولوجيات على الاطلاق . ذلك لأنه الدين الوحيـد . الذى حفظ من التحريف والتبـديل والتغيير والتعديل . وتضمن فى كل مراحله عوامل تحقيق السعادة لبنى البشر على الاطلاق — طالمـا تمسكوا بمنهج الاسلام قولا وعملا — فى جميع المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية .

كما أولى الاسـلام العلاقات بين الأفراد عناية خاصة لتحقيق الألفة والمودة على أوسع نطاق اجتماعى يتصوره بشر . قال تعـالى : **« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير »**[٢١] .

ومن هذا المنطلق فالاسلام « يبنى المجتمع المسلم القائم على احترام العلاقات بين الأفراد . والمجتمع الاسلامى هو مجتمع انسانى : يدعو الى الروابط الانسانية بين الأفراد فى الدرجة الأولى ... كما يدعو الى تبادل المصالح المـادية . ولكن فى محيط العلاقات الانسانية »[٢٢] .

٢ — مفهوم العلاقات الانسانية :

على الرغم من الأهمية القصـوى للعـلاقات الانسانية فى شتى المجالات . سواء منها المرتبطة بالانتاج أو الخدمات ؛ أقول على الرغم من ذلك . فان التركيز منذ وقت مبكر كان — على الأقل فى قطاع الانتاج — يولى أهمية كبرى للعلاقات الانسانية فى محيط الجانب الحسى للعمل فقط . على أساس اختيار الآلات المناسبة للعمل . وضرورة صيانتها ؛ وعلى أساس تنظيم العمل بالطريقة الصحيحة التى تكفل الزيادة فى الانتـاج .

هذا بينما لم يحظ المحيط النفسى للعمل والعلاقات الانسانية بأهمية تذكر . الأمر الذى ترتب عليه زيادة معدل الغياب وكثرة الشكاوى ،

---

(٢٠) أحمد جمال طاهر . نظريات فى العلاقات العامة . مرجع سابق . ص ١٤١

(٢١) الحجرات : ١٣

(٢٢) محمد على المرصفى « نظرة عامة حول التربية الاسلامية » مرجع سابق . ص ٤١

وضعف الانتاج . وقد يصل الأمر الى حد الامتناع عن العمل او تعطيله[٢٣] .

ولعل هذا هو السبب الذى من أجله قامت مجموعة من الدراسات . التى اولت اهتماما ملحوظا . وعناية خاصة للعلاقات الانسانية . وقد بدأت هذه الحركة بتجربة « هوثورن » The Taw Thorne Experiment فى امريكا وقد أشرف على تنفيذ هذه الدراسة مجموعة من علماء النفس والاجتماع وعلى رأسهم « ألتون مايو » فى شركة هوثورن ويسترن اليكتريك بشيكاغو . وكان ذلك ما بين ١٩٢٧ — ١٩٣٢ . وكان هؤلاء العلماء قد تلقوا طلبا من تلك الشركة بدراسة ظاهرة التمرد وعدم الرضا عن العمل بين ثلاثين ألفا من عمال الشركة . هذا بينما سبقتهم « مرى باركر فوليت » (Mary Parker Fo"et) (١٨٦٨ — ١٩٣٣) فتعد أول من اهتم بدراسة العلاقات الانسانية فى الادارة .

أول من اهتم بدراسة العلاقات الانسانية فى الادارة .

وأيا ما كان الأمر . فان تجربة « هوثورن » أدت الى استخدام بعض الوسائل لتخفيف حدة التوتر بين العمال ورفع معدل الانتاج وتنظيم ساعات العمل وأوقات الراحة وتركيز الاضاءة . وغيرها من العوامل المكانية التى تسهم فى زيادة معدل الانتاج . وقد اعتمدت تلك التجربة على فروض « تيلور » التى نادت بأن تقييم مدى كفاءة العامل لابد أن تتم بطريقة علمية . وأن الكفاءة تعتمد على التخلص من الجهد الضائع . لذلك لم يعد ينظر الى العامل على أنه امتداد للآلة . وانما على أساس أنه كائن حى معقد له حاجاته النفسية والاجتماعية والشخصية .

وعموما فلقد نتج عن تجربة « هوثورن » نتائج متعددة منها :

(أ) أن المعايير الاجتماعية وليس الطاقة البدنية أو الجسمية . تحدد مستوى الانتاج .

(ب) استجابة العاملين للادارة لا يتم بشكل فردى ؛ وانما بشكل أعضاء فى مجموعات .

(جـ) لقيادة لا تتركز فقط فى الرئيس الرسمى للمجموعة ؛ وانما قد تكون فى شخص آخر من بين المجموعة يمارس سلطة القيادة بصفة غير رسمية .

---

(٢٣) عبد الرحمن عبد الباقى عمر . العلاقات الانسانية . مكتبة عين شمس . القاهرة ١٩٨٠ . ص ١٣

(د) أن اشراك المرؤوسين مهم فى اتخاذ القرار لا سيما اذا تعلق القرار بهم بصورة مباشرة .

(هـ) أفضل نماط القيادة تلك التى تشرك الجميع . وتتسم بالعدل ودراسة المشكلات بين العاملين . وتلك هى القيادة الديمقراطية[٢٤] .

ومع أنه يوجد عدة معان يستخدم فيها مفهوم العلاقات الانسانية . الا أنه يمكن فى ضوء ما تقدم . تحديد مفهوم العلاقات الانسانية فى مجال الادارة على أنها ادماج الأفراد فى موقف من العمل بطريقة تحفزهم الى بذل الجهد معا لتحقيق أكبر انتاجية مع تحقيق التعاون بينهم واشباع حاجاتهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية[٢٥] .

ولعل الهدف الأساسى من وراء ذلك هو التركيز على السلوك الذى يقصد به « عملية تنشيط واقع الأفراد فى موقف معين مع تحقيق توازن بين رضائهم النفسى وتحقيق الأهداف المرغوبة »[٢٦] .

ولعل ذلك المفهوم ينسحب على العلاقات الانسانية داخل أية جماعة فى موقع عمل واحد ؛ وفى مؤسسة واحدة ، سواء أكانت هذه المؤسسة تتصل بالانتاج أو بالخدمات ؛ ذلك أن الأفراد طالما تواجدوا فى مكان واحد . فلا بد حتما أنهم يشكلون فيما بينهم مجموعة من العلاقات ، تتعدى محيطهم الى الرؤساء والمشرفين والمتعاملين معهم .

وليس هناك شك أن عدم التوافق أو التكيف لجماعة ما فى مؤسسة واحدة . يرجع أصلا الى اضطراب تلك العلاقات وعدم اتزانها وتعاونها[٢٧] .

من هنا أصبح التعريف بمفهوم العلاقات الانسانية ضرورة فى هذا العصر الذى عز فيه « التمييز بين العلاقات الانسانية بألوانها المختلفة ؛ فقد عز التمييز بين التسلط والاقناع ؛ وبين التبعية والاقتناع ؛ وبين الاعلام والدعاية ؛ وبين التعليم والتلقين ؛ وبين التربية وغسل

---

(٢٤) محمد منير مرسى . الادارة التعليمية ؛ أصولها وتطبيقاتها . عالم الكتب . ط ٢ ؛ ١٩٧٧ ؛ ص ٧٩ ، ٨٠

(٢٥) عبد الرحمن عبد الباقى عمر . العلاقات الانسانية . مرجع سابق ص ٧

(٢٦) محمد منير مرسى . الادارة التعليمية ؛ أصولها وتطبيقاتها . مرجع سابق ؛ ص ٨٠

(٢٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٩

الأدمغة . وبين رفع الشعارات والايمـان العميق بها . وبين السلطة والقيادة . وبين التحكم والادارة »[٢٨] .

والواقع أن هذه الملابسات كلها . لها مدلولات خطيرة . لأن كل مؤسسة تحاول أن تبحث لها عن مخرج . تبرر به أهدافها . وربما يصل هذا التبرير الى حد اجهاض الحقيقة . والشك فى مفهوم القيم . خصوصا اذا اختلطت المفاهيم أمام الانسان . وشاهد آثارا ايجابية لعلاقات انسانية ملوثة . كأن يرفع من هم أدنى فى المستوى بشكل مفاجىء . مما يجعل الآخرين تهتز معاييرهم حول مفهوم العلاقات الانسانية مما يضطر البعض منهم الى تكوين رأى ما حول أسلوب أو مفهوم العلاقات الانسـانية .

بيد أننا لو نظرنا فى كل الدساتير الدولية . ومن قبلها ومن بعدها فى كل الكتب والديانات السماوية . لوجدنا أن التوصية دائما تدور حول البناء الأمثل للعلاقات الانسانية . والقدوة الصالحة . فى سبيل أن تزيد ثقة الانسان فى قيادته . وبالتالى تزداد ثقته فى عمله . مما يحقق انتاجا أكثر . وثروة أوسع . ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم . ليستطيع أن يقود أمة ، تناحرت وتقاتلت وشاعت فيها الفوضى الى حد كاد أن يهلكها . لولا عمق الثقة التى حظى بها فى قومه . الى الحد الذى جعل الكثيرين من المسلمين يتفانون فى سبيل الدعوة . ويبذلون من أجلها مهجهم . نتيجة للثقة المتبادلة بينهم وبين قائدهم . ونتيجة للحكمة . والموعظة الحسنة . والتواصى بالحق . والتواصى بالصبر التى هى ركائز العلاقات الانسانية ومحور بنائها .

هذا ولقد كان الصدق فى القول . والثقة بالنفس . والوفاء بالوعد . والأسس السليمة للعلاقات الانسانية . كانت كلها من دعائم التوفيق والنجاح الذى حالف الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعوته . بل وحتى قبل أن ينزل عليه الوحى . فلقد تاجر فى مال خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها . فزاد مالها وتضاعفت ثروتها . فى ظل الثقة المتبادلة بين القيادة والعامل . أو بين صاحب العمل والعامل .

واذا لمحنا هذا فى الاسلام . فاننا أيضا نلمح أن عيسى عليه السلام كان يقول : « ... كل شجرة تثمر ثمرا جيدا ، والشجرة الفاسدة تثمر

---

(٢٨) عبد العزيز القوصى . مقدمة لكتاب : الانسان وسلوكه الاجتماعى . تأليف سيد صبحى . دار مرجان للطباعة . ط ٢ . القاهرة ١٩٧٩ . ص ٦

ثمرا رديا . لا تستطيع شجرة صالحة أن تثمر ثمرا رديا . ولا شجرة فاسدة أن تثمر ثمرا جيدا . كل شجرة لا تثمر ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار . فمن ثمارهم تعرفونهم »[٢٩] .

هذا واذا كانت العلاقات الانسانية لها أهمية فى ميادين الانتاج وهواقع العمل فان هذه الأهمية تزداد بالنسبة لميدان التربية والتعليم . بجميع جوانبه الادارية والأكاديمية . لأن مجال التعليم يتكون ويتشكل فى معظمه من العناصر الانسانية . لان الخامة التى يتعامل معها هى كذلك خامة بشرية انسانية . « ومن هنا تصبح مسألة تكوين علاقات انسانية نشطة عملية على جانب كبير من الأهمية لهذا الميدان . وينسحب ذلك بالطبع على كل الفئات البشرية المكونة لهذا الميدان سواء أكانوا تلاميذ أو معلمين أو مشرفين أو رؤساء أو مديرين . ولا تقتصر هذه العلاقات على العلاقات الداخلية للفئة الواحدة . وانما تشمل أيضا علاقاتها الخارجية . مع الفئات الأخرى . ومن هنا ندرك مدى تعقد العلاقات الانسانية وتعدد اتجاهاتها فى هذا الميدان »[٣٠] .

* * *

ثانيا ــ التطبيق التربوى للعلاقات الانسانية :

اذا كانت التربية فى أساسها مجهودا اجتماعيا يقوم به المجتمع ، وينفق عليه من الأموال العامة . واذا كان الفرد والجماعة التى ينتمى اليها هذا الفرد ويتفاعل بها هما مادة التربية ؛ اذا كان ذلك كذلك فلا يسوغ لنا أن ننظر الى الفرد فى حد ذاته كفرد ؛ ولا أن ننظر الى المجتمع الذى يتفاعل معه هذا الفرد فقط . ولكن ينبغى أن ننظر اليهما معا ، ونبحث فى مجموعة الحقائق والعلاقات الانسانية التى تربطهما جميعا ، لأن اكتساب أنماط السلوك والمعرفة ؛ وتكوين الاتجاهات والميول ، تتكون أصلا نتيجة الخبرات التى اكتشفتها الجماعة واكتسبتها أثناء معركتها مع البيئة الطبيعية والاجتماعية .

ولا مندوحة والأمر كذلك ؛ أن تحتل العلاقات الانسانية ؛ أهمية

---

(٢٩) سيد صبحى . الانسان وسلوكه الاجتماعى . مرجع سابق ، ص ١٠

(٣٠) محمد منير مرسى . الادارة التعليمية . أصولها وتطبيقاتها . مرجع سابق . ص ٢١٠

رئيسية فى تهيئة الجو والمناخ الصحى لاكتساب الانسان هذه الخبرات التراكمية . التى توفرت للانسانية عبر تاريخها الطويل . ذلك أن التربية لا تقتصر فقط على المؤسسات التعليمية المقصودة كالمدرسة والجامعة . وانما تتسع دائرتها لتشمل المجتمع كله . يقول « جون ستيوارت ميل » فى خطبة له ألقاها فى كلية سانت آندروز : « ان عملية التربية لا تشمل فقط كل ما نعمله لأنفسنا . أو يعمله الآخرون لنا . بقصد تنشئتنا وتقريبنا من درجة الكمال بقدر المستطاع ولكنها فوق ذلك تشمل الآثار غير المباشرة التى تؤثر فى أخلاقنا وطباعنا ومواهبنا الانسانية : مثل القانون . ونظم الحكم . والفنون الصناعية . والنظم الاجتماعية . بل انها تشمل أيضا آثار البيئة الطبيعية التى لا تتوقف على الارادة البشرية . من عوامل الجو . والتربة والموقع الجغرافى ؛ فكل ما يساعد على صقل الفرد . واخراجه بالشكل الذى ينتهى اليه جزء من التربية »[1] .

ولما كان التعليم يهدف الى تلقين المعلومات . واكساب المهارات . بقصد تعديل النمو عند الفرد المتعلم . وهو بهذا جزء من التربية . ولما كانت التربية تستمد مقوماتها من جانبين رئيسيين : يمثل أحدهما المدرسة والآخر المجتمع بجميع مؤسساته الدينية والاجتماعية . لما كان الأمر كذلك . بات لزاما أن نناقش العلاقات الانسانية فى ظل النظام التعليمى المقصود « المدرسة » وفى ظل فلسفة الجماعة وأيديولوجيتها التربوية .

ولما كان الدين هو أعلى الفلسفات على الاطلاق . لأنه ملىء بالحديث عن أثر العلاقات الانسانية فى تهذيب النفس . وتنشئة الانسان على مبادىء الحق والخير والجمال لما كان الأمر كذلك . فلا مناص من دراسة العلاقات الانسانية فى مجال المدرسة كمنظمة تربوية مقصودة أقامها المجتمع وأنفق عليها من أمواله . وكذلك مناقشة العلاقات الانسانية فى كل من الأسرة والحياة الاجتماعية . فى ظل المبادىء الدينية والنظام الاجتماعى الذى أقرته الجماعة ورضى به الأفراد .

* * *

(١) جيمس س. دوس . الأسس العامة لنظريات التربية . ترجمة صالح عبد العزيز وآخرون . مكتبة النهضة المصرية . بدون تاريخ . ص ٩

* المدرسة والعلاقات الانسانية :

ما من شك فى أن توفر قدر من العلاقات الانسانية السليمة فى جو المدرسة . سوف يكون حافزا ايجابيا للعمل . وبدرجة الاقبال عليه . فمناظر المدرسة الذى يتوفر لديه مناخ صحى . تحكمه العلاقات الانسانية الطيبة . سيقبل على العمل بروح طيبة . ينعكس أثره على أسرة المدرسة جميعا . بما فيهم المعلمين . الذين سيبذلون المزيد من الجهد . فى سبيل نجاح العملية التعليمية .

وعلى العكس من ذلك حين يسود المدرسة جو من الركود فى العلاقات الانسانية . فان هذا ينعكس على عزوف بعض المدرسين عن العمل . وانعدام الرغبة أو الميل فيه .

وهكذا بمقدار ما يتوفر الجو المناسب والعلاقات الانسانية السليمة . والمعاملة الطيبة . والقدر الأنسب من الكرامة . بقدر ما يزداد الحرص من كل العاملين بالمدرسة على العمل . بل وتزداد رغبتهم وميلهم الى حب المدرسة وتقدير دورها فى المجتمع .

والحوافز الايجابية وخصوص المعنوية منها . تلعب دورها فى تحقيق الانسجام والاتزان فى العلاقات الانسانية . « فالكلمات الطيبة المتبادلة والتشجيع والاستحسان والامتداح والتقدير وعبارات المجاملة ؛ كلها وسائل هامة فى ارساء قواعد العلاقات الانسانية السليمة »(٣٢) .

من هنا فان المناخ والجو العام لتنظيم المدرسة . وشعور المدرس واحساسه نحوها . وتوفير التنظيم الاجتماعى . والعلاقات الانسانية السليمة . كل ذلك أهم بكثير من الجانب الادارى البحت ؛ كما أشارت الى ذلك الدراسة التى قام بها « كورنل » (Cornell) (٣٣) .

١ ــ العلاقات الانسانية بين المدير والمتعلمين بالمدرسة :

لا شك أن للعلاقات الانسانية دور هام فى أنماط الادارة الناجحة ؛ لا سيما فى ميدان التعليم والخدمات الاجتماعية ؛ لأن الادارة الناجحة هى التى تحظى بتقدير الآخرين . كما تستطيع أن تلهمهم وتستفيد بأحسن ما لديهم . كأفراد وجماعات فى تعاون مثمر وفعال . هذا فى الوقت الذى يتم فيه تقدير المجدين . والاعتراف لهم بالفضل والثناء .

---

(٣٢) محمد منير مرسى . الادارة التعليمية . اصولها وتطبيقاتها . مرجع سابق . ص ٢١٠

(٣٣) المرجع السابق . ص ٨١

ففى دراسة قام بها « جريفث (Griffiths) وجـد أن ناظر المدرسة الناجح هو الناظر الذى يتبع طريقة ديمقراطية فى ادارة المدرسه وهو الذى يحل مشاكل العاملين وهو الذى يعطى سلطات للآخرين »[٣٤] .

وفى ضوء ذلك فان اعطاء سلطات للآخرين . لا يقلل من نجاح القيادة التربوية السليمة ؛ لأن مفهوم الدور والمسئولية الصحيحة للقيادة يرتبط ارتباط وثيقا بنمط الشخصية ؛ مضافا اليها المهارات الادارية اللازمة لرجل الادارة الناجح ؛ فالقيادة ليست عملية جامدة . وانما هى عملية ديناميكية حية يمكن من خلالها القيام بالأدوار المختلفة وفقـا لمقتضيات الموقف .

والقائد الناجح هو الذى يعرف ارتباط الوسائل بالغايات . ويلعب دوره على مستوى التخطيط والتنفيذ . بحيث يدفع العمل الى الأمام مطورا فى أساليبه ومجددا فيها ؛ بما لا يتعارض مع سياسة العمل أو تحويل اتجاهه . بما قد يترتب عليه انهيار العمل ذاته . ورجل الادارة الناجح أيضا . هو الذى يتمتع بنفوذ شخصى مع العاملين معه . بحيث تكون له سلطة غير رسمية ؛ يستمد منها قوة تأثير تساعده على ممارسة القيادة الناجحة فى المؤسسة التى يعمل بها[٣٥] .

وهناك ثلاثة جوانب لمدير المدرسة أن يمارسها وهى :

(ا) الجانب الادارى .

(ب) الجانب الاجتماعى .

(جـ) الجانب العلمى والتربوى .

ولعلنا نلمح دائما أن كثيرا من المديرين . ينفقون وقتا أكثر للجانب الادارى . ويكون ذلك على حساب المستوى العلمى بالمدرسة . بيد أن مدير المدرسة لو وعى تماما لكيفية الممارسة الديمقراطية لسلطته . لكفى نفسه كثيرا من المعاناة فى الأعمال الادارية ؛ وذلك بتوزيعها على الموظفين وبعض المعلمين . بالمدرسة . بحيث يتيح لنفسه فرصة أوسع ؛ لمباشرة مهامه فيما يتصل بالجانب العلمى بالمدرسة .

وعموما فمدير المدرسة مسئول عن الأنشطة الآتية ؛ سواء مارسها بنفسه أو فوض غيره فى تنفيذها وتلك هى :

١ ــ الاشراف على النشاط المتصل بالمناهج وعلى عمل المدرسين بالفصـــول .

---

(٣٤) المرجع السابق .

(٣٥) المرجع السابق ص ٨٦

٢ ــ مناقشة المدرسين والطلاب فيما يتصل بأعمالهم وببرنامج المدرسة .

٣ ــ الالمام بالتطورات الحديثة التربوية فى التعليم[٣٦] .

هذا بالاضافة الى مهام ادارية كثيرة لا بد أن يباشر الاشراف عليها . ويقدم اقتراحاته ومجهوداته بخصوصها .

ويتضح من ذلك أن المهام الموكلة لمدير المدرسة تتصل بجميع القوى البشرية الموجودة بالمدرسة . وبالادارة التعليمية . من هنا برزت أهمية العلاقات الانسانية فى القيادة كمميز أساسى لانجاز العملية التعليمية بنجاح . ويعتقد « هالبين » (Halpin) أن القائد المؤثر هو ذلك الذى يرسم بوضوح العلاقة بينه وبين أعضاء الجماعة ؛ ويقيم أنماطا جيدة للمؤسسة التى ينتمى اليها . متضمنة قنوات للاتصال . وفى نفس الوقت يعكس سلوكه روح الصداقة والثقة المتبادلة . والاحترام والدفء فى علاقته بالجماعة[٣٧] .

وأيا ما كان الأمر . فالمهارة فى أداء العمل بسرعة ودقة . وتنمية تلك المهارة من خلال الخبرات والممارسات والتجارب . كلها عوامل رئيسية لنجاح مدير المدرسة .

وتوجد تصنيفات للقيادة . وأنماط متعددة لها . يهمنا منها فى هذا المجال ثلاثة أنواع من القيادة : هى القيادة الديمقراطية . والتسلطية . ثم الترسلية .

(ا) القيادة الديمقراطية : وتقوم على أساس احترام الفرد . وتوفير مناخ الحرية والاقناع والاقتناع . بحيث يأتى القرار النهائى للأغلبية دون تسلط أو خوف أو ارهاب . والقائد الديمقراطى هو من يشجع الآخرين ويقترح ؛ لكنه لا يملى رأيا ولا يرفضه ؛ بل يترك لغيره حرية اتخاذ القرار . واقتراح البدائل والحلول ؛ وهو الذى يراعى رغبات الآخرين ومطالبهم . لذلك يرتبط هذا النوع من القيادة . بالقيادة المؤسسة على العلاقات الانسانية ؛ والتى تجعل الفرد غاية فى ذاته له احترامه وكرامته . هذا مع اعتبار أن هوية الآخرين متوفرة . فى ظل الحقوق

---

(٣٦) لمزيد من معرفة المهام الموكلة الى مدير المدرسة يرجع الى : حسن مصطفى وآخرون . اتجاهات جديدة فى الادارة المدرسية . مكتبة الأنجلو المصرية . ط ٤ . القاهرة ١٩٨٢ . ص ٧٢ ؛ ٧٨

(٣٧) Olive Banks, The Sociology of Education.
B. T. Batsford LTD. Third edition. London, 1976,p. 197.

والامتيازات المكفولة لكل فرد . فالجميع متساوون أمام القانون . ومتساوون فى جميع المزايا الاجتماعية" " .

(ب) **القيادة التسلطية** : وقوامها الاستبداد بالرأى . واستخدام أساليب الفرض والارغام والارهاب والتخويف وعدم السماح بالمناقشة والتفاهم . من أجل الانتصار لذلك الرأى . والقائد التسلطى . هو من يأمر مرءوسيه بما ينبغى عليهم أن يفعلوه . وكيف يعملونه ومتى ؟ وأين ؟ وعادة ما يكون القائد منعزلا عن الجماعة التى يعمل فيها . لا تربطه بهم علاقات انسانية كريمة من التعاطف والمودة .

(جـ) **القيادة الترسلية** : وتعنى ترك أمر القيادة للأفراد دون تدخل فى شئونهم . والقائد الترسلى يقوم بتوصيل المعلومات الى أفراد المجموعة . تاركا لهم الحرية فى التصرف ازاءها دون تدخل منه .

وهذا النوع هو أقل الأنواع من حيث ناتج العمل . كما أنه يفقد القائد الاحترام من المجموعة . كما يفقد الأفراد فى ظل هذا النظام القدرة على التصرف والاعتماد على النفس . وهذه بلا شك تؤدى الى آثار سلبية تنعكس على شخصية الأفراد وعلى علاقتهم بالقائد وبالتالى على العمل نفسه(٣٩) .

وحتى ينجح مدير المدرسة فى تحقيق أهدافها . عليه أن يهيىء جو الاستقرار لتسيير العمل فى اطاره الطبيعى ؛ كما يحاول بذكائه أن يدخل التجديدات التى يراها مناسبة بالتدريج بما تتيحه قدرات الأفراد . وهو بذلك يحقق أداء العمل فى انتظام دون اضطراب . كما يمكن له أن يجدد فى أساليب العمل وفى طرق الأداء فيما يتصل بالاشراف والتنظيم والتنسيق واتخاذ القرار ... الخ(٤٠) .

ومدير المدرسة الناجح هو الذى يعمل على التحسين فى العملية التعليمية والتربوية فى ضوء العلاقات الانسانية ؛ كما يبث روح التعاون والمشاورة بحيث يحقق الأهداف الآتية :

١ — توفير روح الود والمحبة بين جميع العاملين بالمدرسة . بحيث تتاح للجميع الفرصة فى تساو تام لتحقيق ذواتهم .

---

(٣٨) محمد منير مرسى . الادارة التعليمية . اصولها وتطبيقاتها . مرجع سابق . ص ٨٨ ، ٨٩

(٣٩) المرجع السابق . ص ٩٠ (٤٠) المرجع السابق . ص ٩١

٢ ــ توفير الأمن والطمأنينة . والثقة المتبادلة بين أسرة المدرسة جميعهـا .

٣ ــ توفير المناخ الصالح لاقامة العلاقات الانسانية السليمة . فى ظل التسامح وتبادل الرأى والخبرات بين الجميع .

٤ ــ تشجيع الأفراد المبدعين والموهوبين من المعلمين . بحيث يكافأ الموهوب . وتتاح له فرصة الاستمرارية فى ابراز مواهبه وتنميتها .

٥ ــ ترسيخ الايمان بالمدرسة كمؤسسة تربوية لها تقاليدها التى يجب تدعيمها وتشجيعها .

٦ ــ اتاحة الفرصـــة أمام المعلمين لممـــارسة أساليب القيـــادة الصحيحة .

٧ ــ توفير مناخ الحرية فى ابداء مرئيات المعلمين أثناء مناقشة المشاكل الخاصة بالتعليم[٤١] .

٢ ــ العلاقات الانسانية بين المعلم والتلاميذ :

لعله من المعروف فى عالم التربية . أن المعلم هو العقل المدبر . واليد المحركة لنجاح العملية التربوية . وبمقدار الاعداد الجيد للمعلم . بمقدار الفائدة التى تعود على التلميذ فى جميع النواحى العقلية والابداعية والمعرفية ... الخ .

والمعلم فى مهنته يحتاج الى تربية انسانية طويلة . لأن مهنة التدريس تختلف غيرها من المهن اليدوية مثل الكتابة على آلة . أو قيادة مركبة أو غير ذلك . فلكى يصبح الفرد معلما مجيدا لمهنته ، لابد من توفر قدر معين من الثقافة العقلية والأخلاقية والروحية ، لأن لكل هذه النواحى اتصال مباشر بعمل التدريس . فهو محتاج الى ثقافات واسعة وفوق ذلك هو محتاج الى تربية مستمرة يداوم عليها ما استطاع الى ذلك سبيلا[٤٢] .

والقوى البشرية الذين يتعامل معهم المعلم . تتركز أصلا فى الطلاب الذين يقوم بالتدريس لهم ، بالاضافة الى المدير والزملاء وسائر العاملين بالمدرسة من موظفين اداريين وعمال .

---

(٤١) حسن مصطفى وآخرون . اتجاهات جديدة فى الادارة المدرسية . مرجع سابق . ص ٧١ . ٧٢

(٤٢) جيمس س. دوس . الأسس لنظريات التربيه . مرجع سابق . ص ٢٠٩

واذا كنا دائما وأبدا نسعى الى النهوض بالعملية التعليمية . فان أول ما يلفت نظرنا هو المعلم . فكفاءته . وقدرته العلمية . واجادته على استثمار جميع الطاقات البشرية فى محيطه المدرسى . واستحداثه للتطبيقات العملية . واتاحة الفرصة أمامه لممارسة أكبر قدر ممكن من النفوذ فى داخل الفصل وخارجه : والارتفاع والسمو بالعلاقات الانسانية الى أفضل مستوى لها . كل ذلك كفيل بتحقيق أفضل النتائج وأقواها فى النهوض بالعملية التعليمية .

والمعلم كأى كائن بشرى . له حاجاته ومطالبه . سواء منها المادية . أو النفسية . أو الاجتماعية . وحين تشيع العلاقات الانسانية الطيبة والسليمة فى جو المدرسة . وحين يتحقق للمعلم مقدار مناسب من الشعور بالذات فى علاقاته مع مدير المدرسة ومع زملائه . وحين يتوفر له المكان المناسب والكتاب المناسب . والوسائل اللازمة للعملية التعليمية . حين يتوفر كل ذلك . يمكننا ان نتوقع من المعلم الارتفاع بمستوى تعليمى وبنوعيته . نظرا لارتفاع روحه المعنوية . والتغلب على المشكلات والصعوبات التى تواجهه فى العمل سواء منها ما يتصل بالتلاميذ او الادارة .

والمعلم ما زال « حجر الزاوية دائما فى العملية التربوية . وان نجاح هذه العملية يعتمد بالدرجة الأولى على المعلم . وتقدم التلاميذ فى الفصل يعتمد على مدى كفاءة المعلم . واعداده الجيد . واخلاصه فى عمله . وحبه له . وتحمسه للمهنة . وهو فى كل ذلك يخضع فى أدائه لعمله . ودوره فى العملية التعليمية لعديد من العوامل التى تؤثر تأثيرا مباشرا على أدائه لهذا الدور . وفى مقدمتها الوضع المادى والاجتماعى للمعلم وظروف العمل وحوافزه »(٤٣) .

وقد ينال أو يثار كثيرا ما نيط بالمعلم من ثقل المسئولية ومن عبء المهمة الملقاة على عاتقه . وهضم حقوقه . وضعف مكانته الاجتماعية . ووجود الحواجز فى علاقاته بمرءوسيه . قد يثار ذلك وغيره كثير . ولكننا ننسى فى زحمة المطالبة بالحقوق . القيام بالواجبات . فكثير من المدرسين يضعون أنفسهم فى أبراج عاجية بالنسبة للتلاميذ . يتعالون عليهم . ويقيمون حواجز خرسانية فى امكانية الاتصال بهم . أو تبادل الأفكار

---

(٤٣) محمد منير مرسى . الادارة التعليمية . اصولها وتطبيقاتها . مرجع سابق . ص ٢١١

معهم . ناهيك عن كبت كوامنهم حتى أثناء قيامهم بالعملية التعليمية داخل الفصل . وربما نلمح بعض المعلمين لجأوا الى هذه المهنة لأنهم « لم يجدوا عملا يعولهم ويعول أطفالهم الا التدريس . والتدريس منهم براء والتربية لا تجد فيهم . ولا فيما يدرسونه . ولا فيما تحويه المدرسة وادارتها شيئا كثيرا يمكن أن يفيد الأطفال »[٤٤] .

وحتى الفئة من المعلمين والتى لا تعانى من مشكلات مادية أو اجتماعية . قد يتعللون بنوع النظام المتبع داخل المدرسة . وقد يعنون نوعا من البيروقراطية التى تحد من نشاطهم . وبالتالى تؤثر على ترابطهم مع تلاميذهم فى علاقات جيدة . أقول بالرغم من ذلك . فربما ينجح معلمون فى ظل نظام بيروقراطى داخل المدرسة ، قد ينجحون فى قيادتهم وفى علاقاتهم بتلاميذهم . وفى تدريسهم أكثر من غيرهم فى المدارس الأقل بيروقراطية . وفى دراسة انجليزية قام بها « ريفانس » (Revans) حاول أن يربط بين أسلوب القيادة وفاعلية المدرس وأداء التلاميذ . وفى محاولته لتفسير اختلاف التلاميذ فى الادراك . قام بدراسة اتجاه الأطفال نحو المدرسين . واتجاه المدرسين نحو ادارة المدرسة . فانهم يحاولون أن يكونوا مرغوبين من تلاميذهم . وبالتالى يصبحون مؤثرين . بيد أنهم اذا رأوا أن رؤساءهم ديكتاتوريين ، فانهم بدورهم يعدون من وجهة نظر تلاميذهم غير متعاطفين وغير مؤثرين .

ومع ذلك فليس من الضرورى أن يرتبط أسلوب القيادة ، بمستوى البيروقراطية فى المنظمة . فلقد وجدت دراسة موللر وكارترز (Moeller & Charters) أن أسلوب القيادة ومستوى البيروقراطية غير مرتبطين ، وأن المدرسين فى المدارس البيروقراطية لديهم احساس كبير بالقوة أكثر من غيرهم فى المدارس الأقل بيروقراطية .

وعلى ذلك فيحتمل أن يكون أسلوب القيادة متعلقا بالشخصية أكثر من تعلقه أو ارتباطه بنمط تركيب المنظمة »[٤٥] .

واذا صح أن أسلوب القيادة يرتبط بالشخصية أكثر من ارتباطه بنمط تركيب المنظمة ، فان العبء يزداد على المعلم فى مدى نجاحه داخل الفصل ، وفى اكتسابه لحب الأطفال الذين يتعامل معهم ، فى غير

---

(٤٤) سعد مرسى أحمد . التربية والتقدم . عالم الكتب . ط ٣ ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ١٢٢

(٤٥) Olive Banks, The Sociology of Education, Op. Cit. pp. 199 — 200.

ما افراط أو تفريط . أو تقصير فى العملية التعليمية . أو تبنى مجموعة من الأطفال دون أخرى . أو تدخل عوامل ذاتية أخرى .

كل ذلك يتوقف بالدرجة الأولى على نوعية الممارسة للمعلم مع الطلاب . فاذا اعتمد أسلوب السلطة فى علاقاته . وأن على الصغير أو المتعلم أن يطيع ويمتثل . ولا يخالف أمرا يتعلق بالقواعد أو النظام . فان هذا الأسلوب يكون قد حدد ما يجب أن يفعل وما لا يجب . وعدم قدرة الطفل على تفيد قاعدة أو أمر يعد خطأ لا نسيانا حتى مع وجود حسن النية .

وبناء العلاقات الانسانية . وترسيخ القواعد الأخلاقية بهذا الأسلوب المفروض . يتحول الى طاعة عمياء . بل قد يصل الأمر الى حد أن تتميز جماعة دون غيرها وقد يحمى الكسالى أحيانا .

والأطفال بلا شك هم نتاج القواعد والأنظمة التى يعاملون فى ضلها . وحيث ان الأوامر والنواهى تفرض على الفرد دون توضيح لاسبابها أو مبرراتها . فالسلامة اذن تكون فى طاعتها والامتثال لها .

يروى « كيلمر برنجل » (Kelmer Pringle) أن طفلا فى مدرسة طلب منه أن يكتب — بالترتيب التنازلى — أكثر الأشياء التى يرى أنها شريرة — وقد ترأست قائمة الطفل كلمتان « القتل » و « الصياح فى الممرات » لم يستطع الطفل هنا تمييز المقصود بالشر بالضبط الى الدرجة التى رأى فيها التكلم بصوت عال — مثلا — أثناء سير الأطفال فى ممرات المدرسة من أكثر الأشياء شررا لا يسبقها الا القتل . كان هذا نتيجة تعليم الأخلاق بطريقة استبدادية »[٤٦] .

من هنا جاءت طاعة الأطفال نتيجة لمؤثرات عديدة . مثل التهديد والانذار . والعقوبة . حتى اذا ما تبدد خطر السلطة . أو غابت اختفت ظاهرة الطاعة هذه لأن الدافع اليها قد غاب أو زال .

ولا شك أن التربية بهذا النمط الاستبدادى لا تحقق أهدافها ؛ حتى حين تنجح . فليس نجاحها سوى انصياع للغير ودمج لمطالب الفرد مع مطالب غيره ؛ وتجاهل تام لشخصه ؛ لأن ذاتا عليا غير ذاته تسيطر عليه ؛ وهى لا تقبل النقد . بل تصبح مصدرا لقلق يصيب الطفل ولا يستطيع السيطرة عليه .

---

(٤٦) ر. ف. ديردن . فلسفة التعليم الابتدائى . ترجمة سعد مرسى احمد . عالم الكتب . القاهرة ١٩٧٩ ؛ ص ٢٠٥ ؛ ٢٠٦

« ان حمـاية القواعد والقوانين من النقـد يرفعها الى مصاف التقديس . وتصبح مصونة لا تمس . ومن لا يخضع لها يوصم بالشرور بل يعتبر خطرا على الغير ومصدرا للمتاعب . وتستمر هـذه القواعد والقوانين فى صلاحيتها وتأثيرها آمرة الخضوع من الغير لهـا دون مناقشتها . وتتعاقب أجيال كثيرة . وتتغير الظروف ؛ ولكن القوانين سارية المفعول شديدة الأثر تصبح جزءا من طبيعة الأشياء . بل تصبح أسمى من أن تستطيع عقولنا فهمها وفهم مبرراتها »[٤٧] .

وأيا ما كان الأمر . فالمعلم المرن هو من يبنى علاقاته مع طلابه بالمنطق والعقلانية . وان اضطر الى استخدام التقريع واللوم ، فلا مناص من أن يكشف عن الأبعاد التى اضطرته الى ذلك . بحيث تنكشف عدالته أمام الجميع . لأن الأطفال يحتاجون الى أسباب وجيهة . بها يقتنعون من فعل شىء ما أو الكف عنه . وربما يبدو ما يريده الكبار فرضا لطلب أو ارغما عليه . ولكن حين يتبدد أمام الطفل منطق القسر والتسلطية فى الطلب . وتتجلى أمامه الأسباب والمبررات فانه يأتى هذا الفعل . بل قد يتشوق صناعيا اليه . وان كان هذا سوف يجد معارضة عندما يكبر هؤلاء الأطفال .

وعلى كل حال فكلما اتضحت الاسباب بالشرح والتفسير . فى اطار من الاستقلالية . كلما زاد شغف الفرد لاتيان العمل . « اذ المفروض أن تقدم الأسباب وتشرح فى اطار من التفاهم المتبادل لا على أساس أن واحدا يفرض عليه أن يستمع للشرح والتوقعات . ولعله من السطحية افتراض أن كل ما يقوله ويفعله الطفل صواب . أو أن الاهتمام بمصالح الغير وأخذها فى الاعتبار وحب العدالة ... وغيرها يمكن تعلمها دون أن يتخلى الطفل كارها عن رغباته »[٤٨] .

واذا كان ولا بد من الاعتراف للطفل بالمشاركة الايجابية والرغبة الصادقة فيما يأتيه من عمل ؛ فلا مندوحة والحال كذلك ؛ من ضرورة تخلص المعلمين من العلاقات التقليدية التى تربطهم بطلابهم ؛ علاقات قوامها منهج مقرر . منزه — من وجهة نظر واضعيه — عن الخطأ والباطل . والمدرس هو المنفذ بالكلمة ، والآمر بالسؤال ؛ وليس للطلاب سوى الطاعة والامتثال والقبول والاقتناع .

---

(٤٧) المرجع السابق . ص ٢٠٦ . ٢٠٧

(٤٨) المرجع السابق ، ص ٢٠٨

وتربية بهذا المستوى لا تحقق هدفها فى بناء الفرد الحر . لأننا لا ننشد قدرا معرفيا فقط فى العملية التربوية . بل يضاف اليها التربية والتوجيه والمساعدة والتنظيم وبذل الجهد فى تطوير العلاقات بالطلاب الى سلوك هادف . ونمط سليم فى الحياة .

واذا كانت تلك هى الصورة المنشودة . فلا يسوغ لمعلم فى هذا العصر المتزاحم بالتقدم والمتغيرات . أن يكتفى فى العملية التعليمية . باعطاء دروس محفوظة . أو املاء كلمات مكتوبة . ينسحب بعدها من أمام الطلاب . وكأنه ترس فى آلة يتحرك دخولا الى الفصل وخروجا منه بآلة تنبيه تصدر له الأوامر . ضاربا بالعلاقات الانسانية عرض الحائط . وكأن التربية من وجهة نظره غدت كتابا مدرسيا . ومنهجا جامدا يقوم بتحفيظه وتسميعه لطلاب والمتعلمين[٤٩] .

وتربية هذه مقوماتها . لا يتوقع لها أن تنتج عقلا حرا مثقف . بتكنولوجيا العصر . ومحصن بقوانين لعلم . « قال هـ.ج. ويلز : ان المدنيه سباق بين التربية والدمار ... والتربية علم لا يجب أن يخضع للعفويات . ولا يجب أن يكون ملجأ من لا عمل له . ان الدولة التى تتهاون فى تنمية ورعاية عقول أجيالها الصاعدة هى دولة تنتحر عقليا وثقافيا وخلقيا ووجدانيا . وفوق كل هذا تتخلف علميا فى عالم أصبح للعلم والتكنولوجيا فيه مكان الصدارة »[٥٠] .

وعلى أية حال فمهما أعددنا من منهج . وطورنا فى الكتاب . وأصلنا من طريقة التدريس . فشخصية المعلم ما زالت نقطة البداية والنهاية فى العملية التعليمية داخل الفصل . والمعلم الذى يترك أبواب فصله مفتوحة — اللهم فيما عدا الظروف الخاصة — لا شك هو المعلم القادر على الاحتفاظ بالنظام دون فقد كرامته أو التعرض للتهكم . أو الاعتداء على أواصر العلاقة الطيبة مع التلاميذ .

من هنا فاجبار المدرس للتلاميذ على التعلم . وقهرهم على تعلم ما لا يريدون وعدم ستغلاله للمواقف المتعددة خلال اليوم المدرسى فى تحقيق أهدافه التعليمية . والسلوكية . سيجر بالضرورة الى تحويل العلاقة بينه وبين التلاميذ الى صراع حتمى .

---

(٤٩) المرجع السابق . ص ١١ (٥٠) المرجع السابق . ص ٨

وقد أوضح « والر » (Waller) سبب الصراع الحتمى الذى يبدو فى علاقة المعلم بالتلميذ . بأن المعلمين يجبرون التلاميذ على التعلم .

فاذا سمح للتلاميذ أن يتعلموا ما يهتمون به فقط ؛ وبطريقتهم الخاصة . ولا يتعلمون أكثر مما يريدون ولا أفضل منه . واذا كانت هناك مرونة فى أسلوب مفهوم النظام داخل الفصل كشرط ضرورى للتعليم . واذا اعتبر المعلمون أنفسهم مجرد مساعدين وأصدقاء . عندئذ ستصبح الحياة جميلة داخل الفصل الدراسى[٥١] .

ولكن هذا يتم شريطة أن يغتنم المعلم الفرصة التى ينشط فيها التلاميذ ليكسبهم الخبرات المختلفة بواسطة اثارة المشكلات أمامهم ؛ ثم ارشادهم الى التفكير الصحيح لمواجهتها بغية الوصول الى حلها . وهذا النمط يساعد على النمو الجسمى والعقلى والخلقى والاجتماعى . وكسب عادات النقد الحر . والسلوك الصحيح .

والمدرس فى أدائه التربوى . ونجاحه فى ذلك ؛ عليه أن يبدو طبيعيا فى أدائه لعمله ؛ حتى يثق فيه الطلاب ؛ ويقيمون معه جسرا سليما من العلاقات الطيبة . وبمقدار الخلق العظيم ؛ والعقل الراجح ؛ والخبرة المدربة . بمقدار تأثير المعلم فى تلاميذه ؛ وافادتهم منه .

من هنا فلا مجال للتخويف ؛ واستجداء حب التلاميذ تحت وطأة السيطرة . اللهم الا بما يسمح بسلامة النظام وتبادل الاحترام والمحبة والتقدير[٥٢] .

وتوفير جو من التلاحم والترابط بين المدرس والتلاميذ ؛ يساعد على مواجهة الكثير من المشكلات التى تواجه التلاميذ ؛ بحيث يتولد لدى التلميذ الذى يواجه مشكلة اجتماعية ؛ جو مدرسى قوامه الحب والتعاطف والاخاء .

وهذا بدوره يتوقف على مدى استعداد المعلم ؛ بتقصى كثير من المشكلات الاجتماعية التى تواجه التلاميذ ؛ ليعمل على حلها ؛ فلا يكتفى مثلا بلوم التلميذ على تقاعسه فى أداء الواجب المنزلى ؛ دون أن يتعرف على المشكلات المنزلية التى يتعرض لها التلميذ ؛ حينئذ يكون حكمه على

---

(٥١) O'ive Banks, The Sociology of Education. Op. Cit. p. 243 .

(٥٢) جليل شكرى عجبان . مشكلات الطفولة فى المجتمع المدرسى . تطبيقات تربوية . مطبعة النجاح . دمنهور . مصر ، بدون تاريخ ؛ ص ٧٨ ؛ ٧٩

أساس سليم وتوجيه صحيح . وربما نجح فى تقويم هذا التلميذ بنمط مناسب دون ان يتمادى فى تقويمه بأسلوب غير مناسب .

وحسن المعاملة للتلميذ تشعره بالأمن وتزيل لديه كراهية المدرسة . والمدرسين . وتشعره بالاطمئنان . وترفير هذه الجوانب يتوقف على السياسة السليمة للمدرسة وللمدرس على السواء[٥٣] .

والتوسط فى المعاملة هو حجر الزاوية فى اقامة العلاقات السليمة . فلا يناقق المدرس الطلاب . حتى لا يفقدون ثقتهم به . كما أنه لا يبالغ فى المثالية التى تجعل التلاميذ ييأسون من محاكاته . بل وقد يشعرون بفشلهم فى السير على منواله . والتأسى به .

كما أن مبالغة المعلم فى اضفاء مزيد من التكلف مع التلاميذ بغية اكتساب وقار أكثر أو احترام أوسع . فيتأفف النزول الى مستوى التلاميذ وينظر اليهم نظرة فوقية . كل ذلك يتعارض مع روح الديمقراطية فى التعليم . بل وربما يخفى وراءه مداراة القصور فى قدرة المعلم المعرفية . أو الشخصية . الأمر الذى قد يفسد على التلاميذ جو المدرسة . وربما يسبب بعض المشاكل المتصلة بالسلوك العام للتلاميذ[٥٤] .

والتلاميذ دائما فى حاجة الى سياسة فى المعاملة قوامها الصبر والنظام . وسعة الصدر . مع عدم استفريط فى أسلوب الضبط العام المفصل فى كياسة وفطنة تتناسب مع لموقف التعليمى . والمدرس غالبا يتحمل توجيه التلاميذ الى الأفضل فى جميع الجوانب الثقافية والاجتماعية والدينية لأن شأنه أنه أرقى أفراد البيئة ثقافة وعلما .

« وقد تكون شخصية المدرس الضعيف سببا فى الفوضى والاضطراب بين روح الجماعة . فلا يمكن أن نسميها روحا اجتماعية بالمعنى السليم . وقد تكون شخصية المدرس حازمة فيتصرف فى شدة وحزم . وينشدد فى لين وعطف . بحيث يكاد يشعر التلاميذ نحوه بالشعور الوالدى الذى يستتبع الكثير من الصفات الاجتماعية . كالتضحية والتقدير والايثار والمودة . وهذا الاتجاه أكثرها قدرة على انتاج الروح الاجتماعى السليم . وهذا المدرس أكثر قدرة من غيره من المدرسين : على التوجيه الاجتماعى : وفى هذا الجو يكاد يشعر التلاميذ ومدرسوهم بارتباطهم ارتباطا وثيقا

---

(٥٣) المرجع السابق . ص ٨٧ . ٨٨

(٥٤) المرجع السابق . ص ٩٠ . ٩١

داخل المجتمع الذى يعيشون فيه . رباط تشيع فيه المودة الحقيقية والألفة والتعاون الصادقان • ويسير المجتمع المدرسى بهذا نحو هدف واضح لخدمة الجماعة المدرسية »[٥٥] •

والواقع أن ممارسة التلميذ للمشروعات المختلفة والجمعيات المتعددة بالمدرسة سواء منها التمثيل أو الموسيقى أو الرسم ، أو الرياضة أو الكشافة أو الجوالة ••• الخ . تشكل عنده أنماط التعاون ، وروح الجماعة . بل وتربى فيه العلاقات الطيبة مع الآخرين بروح مشبعة بالحب والوفاء •

« ولضمان قدرة المدرسة على توجيه الاحساس الاجتماعى السليم . لا بد وأن تكون العلاقات المدرسية بين المدرسين وبعضهم ، وبينهم وبين ناظر المدرسة . وبينهم وبين التلاميذ . وبين التلاميذ وبعضهم . وبين الفصول المدرسية فيما بينها ، تسير سيرا طبيعيا مرضيا ، يؤكد العلاقة السامية بربط عام بين جميع أفراد هذه الأسرة الكبيرة »[٥٦] •

وعموما فدرجة النضج الوجدانى للتلميذ وللمعلم . والانضباطات المفروضة على التلميذ ، وردود الأفعال المتبادلة ، كل ذلك له أهمية فى نوعية العلاقات وتكوينها •

والمعلم الذى يتمتع بشخصية ناضجة ، يستطيع أن يواجه المشكلات التى يعيشها الطفل . بل ويساعده على حلها ، وعلى التخلص من الأوهام اللاشعورية . التى تكونت عنده من سوء العلاقات الأسرية الأولى ، والتى اتسمت بتشوهات ذاتية . أساء التلميذ تصفيتها ومواجهتها • « أما فى المدرسة فالعلاقات الشخصية الأوسع نطاقا مصحوبة بتقوية للاحساس بالواقع ، وبانحسار الذاتية والأوهام •• وهكذا يقوى « أنا » الطفل قدرته التأليفية . بمزيد من التمييز بين الجانب الخيالى ، الذى كثيرا ما يكون مسببا للاضطراب ، وبين الواقع الملموس أو العينى الذى يستند اليه « الأنا » القوى »[٥٧] •

وتكوين الطفل لذاته ، ينضج اذا تمكن أن يؤكد ذاته ، حين تزيد

---

(٥٥) المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، ٢١٧

(٥٦) المرجع السابق ، ص ٢١٧

(٥٧) جورج موكو . التربية الوجدانية والمزاجية للطفل . ترجمة سمير العصرة . نظمى لوقا . الجمعية المصرية لنشر الثقافة والمعرفة العالمية . القاهرة ١٩٧٨ . ص ٢٦٢

ثقته بنفسه ؛ والفرد لا يمكن أن يؤكد ذاته . دون أن يثق بنفسه . ويشعر بأنه مقبول من الغير ومحبوب له ؛ وحائز على الاعجاب الكامن فى كل نشاط مدرسى . بالاضافة الى الرغبة فى الاكتساب والتعلم[٥٨] .

وهكذا يصبح سلوك المعلم مثيرا لاستجابات وردود أفعال لدى التلاميذ . لأن التلميذ لا يمكن أن يكون بمعزل عن البيئة . فهو من نتاجها على نحو ما . وبالتالى فمسلك المعلم وكينونته . وموقفه من التلميذ . بالشدة أو اللين ؛ بالحياء أو عدمه . كلها عوامل تعين فى تحديد مسلك كل منهما[٥٩] .

والتربية فى جميع تلك المظاهر واقعة شخصية ؛ شئنا أم لم نشأ . لأن قوامها الأفراد . فهى ضرب من الحوار . « وسواء أكان المعلم محبذا للشعور المدرسى أو لم يكن ؛ فالواقع أن للحساسية أهميتها العظيمة فى العمل والانضباط المدرسى . ومن هنا عظم أهمية كل ما من شأنه ادخال الاضطراب على علاقات المعلم والتلميذ »[٦٠] .

وتاريخ المعلم وماضيه له دور كبير فى تحديد سلوكه مع الطلاب . وعلاقاته معهم . لأن تلك العلاقة أشد ما تكون تأثرا بالماضى . والمعلم بماضيه الطفلى ؛ قد يفترض عليه اختيار الطرق التسلطية ؛ التى يجتهد فى تبريرها فيما بعد ؛ عن طريق عقليته . واتخاذ ذرائع وحجج ذهنية محضة . وندرة من المعلمين هم القادرون بقوة شخصيتهم على التخلص من هذا الماضى وتجاوزه وعدم تكراره[٦١] .

وأيا ما كان الأمر ؛ فاختيار المعلم لأسلوبه ؛ وطريقته فى التربية ؛ وفى تكوين العلاقات وابراز القيم ؛ والتصورات الخاصة عن المواطن ؛ ومعالجة الظروف الموضوعية والقوى المختلفة المؤثرة فى اتجاهات التلاميذ . كل أولئك رهن بنظرة المعلم فى تنمية القيم الخلقية كأسس لتنمية الاتجاهات العقلية والاجتماعية عند التلاميذ[٦٢] .

صحيح أن المعلم تحدده عوامل أساسية ؛ منها السياسات التربوية العامة . والاتجاهات التى تتضمنها أو تقوم عليها ؛ غير أن شخصية

---

(٥٨) المرجع السابق ؛ ص ٢٦٣ ؛ ٢٦٤

(٥٩) المرجع السابق . ص ٢٦٨ (٦٠) المرجع السابق . ص ٢٧٢

(٦١) المرجع السابق . ص ٢٧٥ ؛ ٢٧٦

(٦٢) محمد الهادى عفيفى . فى أصول التربية . الأصول الفلسفية للتربية . مرجع سابق ؛ ص ٣٢٩

المعلم ووعيه بمدى تلك السياسات وهذه الاتجاهات وقدرته على هضمها وتمثلها . هو حجر الزاوية فى نجاحه فى التأثير على التلاميذ . بالنمط الذى يختاره . والعلاقات الانسـانية التى يفضلها . ووسيلة الثواب والعقاب التى يحبذها . فقد يستخدم وسائل مادية . أو معنوية ؛ وقد يكون تأثيره مباشرا عن طريق المواجهة . وقد يستخدم ضغط الجماعة والجو الاجتماعى .

وكما سبق أن ألمحنا ، فالتلميذ ينفعل مع المدرسين فى قاعات الدرس . أو فى مجالات النشاط المختلفة . والتلميذ فى هذا يحتاج الى نموذج طيب فى الخلق وفى السلوك ؛ والمدرس هو هذا النموذج ؛ الذى يمثل النظام كقيمة . والفضيلة والمعرفة والموضوعية والعدالة والحق والالتزام .

وهو فى هذا يتأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التى يعيشها . ولا شك فى هذا أن نظرة المعلم الى موقعه ؛ والى ما يعبر عنه من قيم يتأثر بأوضاعه تلك وينفعل بها[٦٣] .

ولا مندوحة للمعلم الذى ينشد التوجيه الذاتى للتلاميذ ؛ ويشجع لديهم النشاط القائم على التفكير والولاء للعمل الجماعى باعتباره المجال السليم لحفز التفكير وبناء شخصية التلميذ ؛ لا مندوحة للمعلم الذى يبغى تحقيق ذلك . من الالتزام بالقيم الديمقراطية فى علاقاته بالتلاميذ . واحترام شخصيتهم . وتوفير الفرص التعليمية المتميزة بالعمق والتوجيه لهم . وتنمية روح المسئولية بينهم . والمساواة الكاملة فى المعاملة[٦٤] .

عندئذ نستطيع أن نجزم بأن العلاقات الانسانية فى الحقل التعليمى . قد حققت أهدافها . وأكدت أهميتها فى العملية التربوية والتعليمية .

٣ ــ العلاقة بين المعلم والتلميذ فى الفكر الاسلامى :

واذا عدنا الى الوراء قليلا . فسوف نلمح أن مفكرى المسلمين كانوا يؤكدون دائما على اقامة علاقات انسانية متبادلة بين المعلم والتلميذ ؛ قوامها الاحترام المتبادل . والتقدير المتكامل للمعلم فى غير ما خنوع ولا خضوع . لأن العلم رحيم بين أهله . ولأن التلميذ عهدة عند المعلم . عليه أن يرعاه ويتعهده بما يصلح فيه دينه وخلقه .

---

(٦٣) المرجع السابق ، ص ٣٢٩ ، ٣٣٠

(٦٤) المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣

ويذكر الامام الغزالى فى « احياء علوم الدين » ثمان وظائف ؛ يراها ضرورية للمعلم فى صلته بالمتعلمين :

(ا) أن يكون شفوقا بالمتعلمين • قال صلى الله عليه وسلم : « انما أنا لكم مثل الوالد لولده » وبهذا فحق المعلم أعظم من حق الوالدين . لأن الوالد اذا كان سببا للوجود الحاضر والحياة الفانية . فالمعلم هو الذى يفيد المتعلم ويعده للحياة الأخروية الدائمة •

ولما كان التلميذ للمعلم كولده . فعلى المعلم أن يرسخ فى تلاميذه المحبة والتعاون و لتوادد ؛ والبعد عن التحاسد أو التباغض •

(ب) أن يقتدى بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . فلا يطلب على افادة أجرا ولا يقصد جزاءا ولا شكورا ؛ بل يعلم لوجه الله تعالى . دون منة أو تفضل على أحد •

(جـ) أن ينصح المتعلم ؛ ويمنعه من التصدى لعلم قبل الاستعداد له أو يتشاغل بالخفى قبل الجلى • على أن يكون غرضه من العلم وجه الله تعالى •

(د) أن يستخدم مع المتعلم أسلوب التعريض ما أمكنه ؛ وألا يوبخه ؛ ففى التوبيخ هتك لحجاب الهيئة ؛ كما أنه يكسب الجرأة على المحاجة بالخلاف فى الرأى والحرص على التمسك به •

(هـ) على المعلم أن يكون قدوة لتلميذه فى العلاقات الانسانية ؛ فلا يقبح أمامه من شأن علم آخر ؛ لأن ذلك ينسحب على معلم ذلك العلم ؛ ناهيك عن أن التلميذ قد يألف هذه الخصلة فيقتدى بأستاذه فيها ؛ ويألف تجريح غيره والطعن فيهم •

(و) أن يقتصر بالمتعلم على ما يستوعبه عقله ؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم : « نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم » •

(ز) التلميذ المحدود الذكاء ؛ يتعلم بالقدر اللائق به ؛ فيقدم له من المسائل أوضحها ؛ ولا يذكر له أن هناك أمورا دقيقة وراء تلك المسائل ؛ فان ذلك يفتر رغبته فى المسائل الواضحة . بل ويشوش عليه قلبه •

(ح) على المعلم أن يعمل بعلمه . فلا يكذب قوله فعله . لأن العلم يدرك بالبصائر . والعمل يدرك بالأبصار . ولذلك فكل من خالف قوله فعله . فانه يمنع الرشد . وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس منه واتهموه . وزاد حرصهم على ما نهوا عنه . فيقولون : لولا أنه طيب الأشياء وآلذها لما كان يستأثر به[٦٥] .

والغزالى حين يؤكد على اقامة علاقات انسانية بين المعلم والتلميذ لم يفته أن ينبه على المتعلم ضرورة تقديره لأستاذه وطاعته اياه ، وعدم اللجوء الى اللغط والجدل فى مسائل هو غير مستعد لها .

ولا ننكر أن تربية هذه دعائمها . نجحت أيما نجاح فى تخريج أجيال وعلماء أفذاذ آفادوا العلم وأقاموا الدين . فى ترابط متكامل . وتلاحم تام فى ظل من العلاقات الانسانية الرشيدة .

* * *

ثالثا ــ التطبيق التربوى للعلاقات الانسانية فى ظل المبادىء الدينية :

(ا) دور العبادات فى بناء العلاقات الانسانية :

أما وقد تناولنا بالحديث العلاقات الانسانية فى المدرسة . ودور المعلم والمدير فى بناء صرح العلاقات الانسانية الهادفة التى تنشد النجاح فى العملية التربوية وبناء الفرد المتناسق داخليا وخارجيا . الخالى من عقد التسلطية والديكتاتورية . والأنوية . فى عصر تزاحمت فيه قنوات الثقافة المختلطة بشكل مخيف ومروع . أما وقد تناولنا ذلك . فقد بات على التربية أن تفتش لها عن دور ، فى خضم هذا التزاحم وهذا الهيجان الفكرى .

ولقد بدا أمامنا صعوبة التطبيق التربوى للعلاقات الانسانية فى المدرسة . نظرا لمشكلات تكتنف قيادة المدرسة والمعلمين بها . ولا شك أن تزاحم الأهداف التربوية والتعليمية ، وكثرة القنوات المصدرة لتلك الأهداف ، تلعب دورا كبيرا فى قصور استثمار العلاقات الانسانية . والحد من وضعها فى المكان اللائق بها فى أداء العملية التعليمية .

---

(٦٥) الامام الغزالى . احياء علوم الدين ، جـ ١ ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى . القاهرة . بدون تاريخ ، ص ٥٥ ، ٥٨

ولا مراء فى أن التربية فى عالمنا العربى والاسلامى . تشهد فى الآونة الأخيرة اضطرابا منقطع النظير . وباتت عملية التعليم لا تولى اهتمامها فى بناء صرح العلاقات الانسانية الصادقة سوى صب كل مقوماتها فى الجانب المعرفى المهلهل التقليدى .

ولا مندوحة أن تربية اعتمدت فى بنائها على كثير من فكر وافد . وأهداف لا تتوافق — فى غالبيتها — مع المنهج الاسلامى . لا مندوحة والحال كذلك من تذبذب التلاميذ والمتعلمين . بين الواقع الذى يعايشونه فى المدرسة وبين ما يجب أن يكونوا عليه فى ظل القيم الانسانية الصادقة التى تعتمد على الفكر الاسلامى والمنهج الدينى .

ولا جدال فى أنه لو صلح المنطلق الذى تشتق منه أهداف التربية . لصلح التطبيق التربوى . ولاستقام بالتالى النظام التعليمى . ولما كان المنطلق الحالى فى التعليم . يشتق فى كثير منه . من فكر سياسى أو اقتصادى أو ثقافى أو بالأحرى فكر وضعى لا يستقيم — فى غالبيته — مع الفكر الاسلامى . لذلك تحطمت كثير من النتائج التربوية المنشودة . فوق صخرة التقليد . وتحت مظلة الأنظمة الجامدة فى التعليم .

والتلميذ فى عصرنا . بات لا هم له . سوى منهج يحفظ . وكلمة تكتب . ضاربا عرض الحائط بالقيم الأخلاقية الصحيحة . والعلاقات الانسانية الصادقة .

بيد أننا لو عدنا الى الاسلام . فسوف نجد أن العلاقات الانسانية تبنى فيه من منطلق أساسى سليم . ومن ركيزة وحيدة هى : عدم الشرك بالله رب العالمين .

ولكن كيف كان ذلك ؟ ... اذا نقى الضمير عند الفرد معلم أو متعلما . اذا نقى من أوشاب الشرك فى جميع صوره . واذا تطهر القلب من أوشاب الخرافة . واذا تخلص المجتمع من تقاليد الجاهلية . واذا تطهرت الحياة من عبودية العباد للعباد . اذا توفر ذلك . حينئذ يكون ارتباط الفرد المسلم بربه وعلاقته به على بصيرة .

ثم تأتى علاقة الجماعات والأفراد . مقاسة بهذا المعيار الثابت (عدم الاشراك بالله) الذى نرجع اليه فى كافة الروابط . ومقاسة كذلك بالقيم الاسلامية التى شأنها أنها تحكم الحياة البشرية . فلا تظل نهبا

تريح الشهوات والنزوات . واصطلاحات البشر التى تتراوح مع النزوات والشهوات[٦٦] .

ولا نجانب الصواب حينئذ حين نقرر أن اطار العلاقات الانسانية فى ظل هذه القاعدة الاسلامية . خير ضمان لحسم الكثير من الجدل حول التطبيقات التربوية الصحيحة للعلاقات الانسانية . ذلكم أن اطارا فى ظل تشريع ثابت . يربط الخلق بالله أولا . ويحقق متطلبات البشر الانسانية ثانيا . ويصحح المفاهيم الخاطئة نحو المغزى الصحيح للعلاقات الانسانية ثالثا . أقول : ان اطارا هذه مقوماته . لأجدر بمجتمعاتنا الاسلامية أن تسير فى هديه . وأن تترسم خطاه ؛ بدلا من أن تعيش فى ظل أطر وافدة من هنا وهناك ؛ هى بعيدة عن ديننا أولا . وهى مفككة فيما بينها ثانيا . وهى لا تتوافق ومقومات الفرد المسلم ثالثا .

وبهذا فان منهج الاسلام فى بناء العلاقات الانسانية فيه تحقيق لسعادة الفرد والمجتمع على السواء . طالما استقامت علاقة الفرد المسلم بربه . وتحققت فى اتزان كامل . وأسلوب صحيح .

وقبل أن نوضح الدور التربوى للعبادات فى بناء العلاقات الانسانية سوف نشير الى أهمية علاقة المسلم بالله تعالى . على أنها الركيزة الأولى فى بناء صرح العلاقات الانسانية السليم .

١ ــ **العلاقة بالله تعالى** : اذا تمت علاقة الفرد بخالقه فى اتزان وادراك بأن الله سبحانه وتعالى ؛ هو وحده المتوكل أمر العباد عليه المعتمد ؛ تحقق للفرد الاطمئنان والاستقرار فى الحياة . قال تعالى : **« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب »**[٦٧] يقول الامام البيضاوى فى تفسير تلك الآية : « وتطمئن قلوبهم بذكر الله أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه ، أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعنى القرآن الذى هو أقوى المعجزات . **« الا بذكر الله تطمئن القلوب »** تسكن اليه »[٦٨] .

---

(٦٦) سيد قطب . فى ظلال القرآن . ج ٣ ؛ دار الشروق . ط ١٠ ١٩٨١ . ص ١٢٢٩ ؛ ١٢٣٠ (٦٧) الرعد : ٢٨

(٦٨) الامام ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر الشيرازى البيضاوى . انوار التنزيل واسرار التأويل ؛ المسمى تفسير البيضاوى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . بدون تاريخ . ص ٣٣٢

ان احسان الفرد المسلم للاتصال بالله . يعتمد على درجة اتقانه العمل بكتابه . والالتزام بتعاليم رسالته . فيتوازن فى ذاته ؛ ولا يسقط فى مزالق المسادة أو الجاه والمنصب . ويتحقق باحسان العلاقة بالله كذلك . توازن حياة الجماعة . فلا تشتد أزمة بانسان ؛ ولا تغرى ميسرة انسانا بآخر . ذلك أن الاتصال بالله يحول دون اذلاله الناس وامتهان كرامة البشرية . كما أنه يضفى الوقار والاتزان على تصرفات من حباه الله بفضله وأفاض عليه من نعمه .

ولا مناص اذا أرادت البشرية أن تقيم علاقاتها الانسانية بالمنهج الصحيح ؛ لا مناص لها من اللجوء الى الدين فى تقويم وتهذيب أخلاقها . والناس أفرادا وجماعات يتوقف اطمئنانهم وخيرهم على اتباع الهدى والرشاد وحسن الصلة بالله رب العالمين . ففى ذلك دفع للبلاء فى حالة الأزمات . كما أنه فيه دفع لبلاء طغيان الجاه والقوة فى حال اليسر .

والفرد المسلم جيد الاسلام . هو من تبقى علاقته بربه وقت الفرج والميسرة ووقت النعمة والقوة . ووقت الجاه والسلطان . وفى حال العلم والمعرفة . بنفس مستوى علاقته بربه وقت العسر والشدة ، والضعف والمحنة . والذلة والحاجة .

وعجيب شأن الفرد . فى حال الشدة يود أن لو يتمكن من تطبيق رسالة الله . ويقيم علاقات انسانية على أعلى مستوى ؛ فيواسى الجار . ويرعى القريب . ويطعم المسكين . ويرشد الجاهل ؛ ويشد أزر الضعيف . حتى اذا كان فى مبسرة وسعة ؛ تراه ينكر ذلك ؛ ويرفض رسالة الله فى خلقه . فالفقير فى نظره مبتذل ؛ والضعيف عنده مهان ؛ والجاهل فى تقديره محتقر . والمجتمع بما فيه لا يعنيه فى شىء الا بقدر ما ينخر فى عظام الفقراء منه . ويزيدهم ضعفا على ضعف ؛ كما لا يعنيه من أمر المجتمع ، سوى ترك الجاهل يتخبط فى جهله ؛ حتى يظل وحده متميزا بقوته . منعما فى جاهه وسلطانه .

وهذا هو شأن الانسان (أى انسان) لو ترك وشأنه — دون توجيه من خالقه ودون أن يروض نفسه على العمل بتوجيهات القرآن الكريم — فسوف يتحول أمر الناس الى فريقين :

(ا) فريق له القوة فى صورة من صورها ؛ فهو لا يقيم وزنا لحرمة ؛ ولا يضع أهمية لبشر .

(ب) وفريق ضعيف مستضعف ، ذليل مستذل . لا يؤمل كثيرا في صاحب قوة أو جاه . ولا يتوقع عطفا من صاحب مال يستدره منه بضعفه وحاجته .

والنتيجة أن مجتمعا بهذه الفرقة ، لا يشكل مقومات الجماعة المتماسكة . كما لا يتوفر فيه الشعور بالانسانية بين فرد وآخر . بل العكس هو الصحيح . خصومة ونفرة متبادلة بين الطرفين ، وحقد وحسد من الضعيف . وانفراد بالقيمة البشرية داخل أصحاب الجاه والثراء . دون ما قيمة تذكر لهؤلاء الضعفاء .

والقرآن الكريم يصور حال النفس الانسانية والطبيعة البشرية . بما يثبت هذا ويبرهن على صدقه وصحته . قال تعالى : « **واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، انك من أصحاب النار** »(٦٩) .

ويقول سبحانه وتعالى : « **واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه ، كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون** »(٧٠) .

ويقول سبحانه وتعالى : « **واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه ثم اذا أذاقهم منه رحمة اذا فريق منهم بربهم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم ، فتمتعوا فسوف تعلمون . أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون . واذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها ، وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم اذا هم يقنطون** »(٧١) .

ويقول سبحانه : « **واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض** »(٧٢) .

ومع أن هذه الآيات جميعها مكية ، ونزلت في أولى مراحل الدعوة الى التوحيد والتوجيه الى الخالق الواحد بالعبادة ، ومع أنها كذلك تشير الى طبيعة الانسان قبل أن تتأثر بالتوجيه الالهي . وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم . ومع أنها تضع الطبيعة الانسانية بين عسر ويسر ، صحة ومرض ، ضعف وشيخوخة ، علم وجهل ، شر وخير ، ومع أنها

---

(٦٩) الزمر : ٨
(٧٠) يونس : ١٢
(٧١) الروم : ٣٣ — ٣٦
(٧٢) فصلت : ٥١

تخلف الانسان باللجوء الى الله حين العسرة . ونسيانه وقت اليسر والرخاء » .

اقول : ومع كل ذلك . فاظننا لا نجانب الصواب اذا قلنا . ان حال المسلمين اليوم . وفى كثرة كثيرة منهم . هو هو بتلك الطبيعة الانسانيه التى هى جبلة فيه — الا من عصم ربى — نكران لنعمة الله . ونسيان لفضله . وهجر للفضائل . وطمس لحقوق الله . وبالتالى حقوق العباد . وتقطع لأوصال العلاقات الانسانية . وهذه هى جاهلية القرن العشرين .

واظن ان هذه الآيات تنسحب على كثير مما نراه من حال المسلمين فى عالم اليوم . والسؤال هو : اذا كان الحال والشأن كذلك فكيف الخلاص ؟ الخلاص يكمن فى حسن الصلة بالله . والتطبيق لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم . لأن فيها هداية لعقل الانسان . كما أن فيها اعزاز للحق أينما وجد الحق . وازهاق للباطل حيثما وجد الباطل .

ودعوة الحق هى دعوة الصفاء للنفوس . وازالة ما بها من أحقاد وضغائن . لتحل محلها روابط تجمع الكلمة وتشفى الصدور . قال تعالى : **« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا »**(٧٤) .

يقول الامام البيضاوى فى تفسير الآية : « وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين . ما هو فى تقويم دينهم . واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرض »(٧٥) أما دعوة الباطل فمملوءة بالحقد والفرقة . وتمزيق الروابط . لأن أساس الباطل . الالحاد . والكفر بالله ، والملحد لا يتهيب سبل الاجرام . بل يرتكب المنكر ويشيع الفاحشة »(٧٦) .

قال تعالى : **« يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون »**(٧٧) والآية فيها أمر بالاباحة

---

(٧٣) محمد البهى . الاسلام فى حياة المسلم . مكتبه وهبة . ط ٥ . ١٩٧٧ . ص ١٥١ — ١٥٦

(٧٤) الاسراء : ٨٢

(٧٥) الامام البيضاوى . انوار التنزيل واسرار التاويل المسمى تفسير البيضاوى . مرجع سابق . ص ٣٨٢

(٧٦) محمد البهى . الاسلام فى حياة المسلم . مرجع سابق . ص ١٥٩

(٧٧) البقرة : ١٦٨ . ١٦٩

والحل لما فى الأرض . فيما عدا محظورات نص عليها القرآن نصا . وهذه الإباحة تثبت تجاوب هذه العقيدة مع نظرة الانسان وفطرته لكون جميعا . من هذا خلق الله ما فى الأرض للانسان . جعله له حلالا . لا يقيده الا أمر خاص بالحظر . والا تجاوز دائرة الاعتدال والقصد . كل ذلك شريطة أن يتلقى الناس ذلك من الجهة التى ترزقهم هذا الرزق . وهو الله رب العالمين . ولا يستمعوا لدعاء الشيطان . لأنه لا يوحى بخير فهو عدو للناس . لا يأمرهم الا بالسوء والفحشاء[٧٨] . كما لا يأمرهم الا بما ينكد عليهم حياتهم . ويكدر عليهم عيشهم . والا بما يقطع أوصالهم . ويزيل صلة القرابة . والرحمة والعلاقات الانسانية من بينهم .

قال سبحانه وتعالى : « **ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين** »[٧٩] . وليس المقصود فى الآية من يعلن كلمة الكفر . « انما يدخل فى مدلول هذا الوصف من لا يقر بوحدة الألوهية . وقصر العبودية عليها . وهذا يتضمن بصراحة وحدة الجهة التى تصرف حياة العباد بالتشريع والتوجيه والقيم والموازين ... فمن جعل لغير الله شيئا من هذا ابتداء فهو مشرك به أو كافر بألوهيته ولو قالها ألف مرة باللسان »[٨٠] .

ولا مندوحة من القول أن علاقة الفرد بالله رب العالمين . كانت وما زالت وستظل محور الارتكاز فى تكوين شخصية الفرد ؛ وتقبل الجماعة له . فكلما صلحت علاقته بربه . كلما زاد اتزانه . وصلحت علاقته بالأفراد الذين يعيش بينهم .

وحتى يحسن الفرد المسلم علاقته بربه ؛ فلا مناص من أدائه العبادات التى خلق من أجلها . فأداؤها فرض عليه ، لأن فيها الخير لنفسه ولمن حوله . قال سبحانه وتعالى : « **وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين** »[٨١] يقول الامام البيضاوى فى تفسير

---

(٧٨) سيد قطب . فى ظلال القرآن . مرجع سابق ؛ ص ١٥٥

(٧٩) آل عمران : ٢١

(٨٠) سيد قطب . فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ص ٣٨٢

(٨١) الذاريات : ٥٦ ــ ٥٨

الآية : « (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) : لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره • مع أن الدليل يمنعه لنا فى ظاهر قوله : **« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس »**[٨٢] وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عبادا لى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) أى ما أريد أن أحرفهم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما أنتم كالمخلوقين له والمأمورين به • والمراد أن يبين أن شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل أن يقدر بـ « قل » فيكون معنى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا أن الله هو الرزاق الذى يرزق كل ما يفتقر الى الرزق . وفيه ايماء باستغنائه عنه »[٨٣] •

* * *

٢ ــ **دور الصلاة فى بناء العلاقات الانسانية** : لما كانت تربية المسلم على الفضيلة ، والأخلاق الحميدة . هدفا من أهداف التربية الاسلامية . ولما كانت الماديات ومظاهر الترف . كثيرا ما تنسى الانسان الفضيلة والقيم الأخلاقية ، فيتأرجح بين سلوك الخير والشر ، ويميل الى أقرب لطرفين توافقا مع شعوره ، ينغمس فيه حتى أذنيه ، لما كان ذلك كذلك ، جاءت العبادات كضوابط ووسائط ، تعيد صلة المرء بالله رب العالمين ، وتحميه من الزيغ والتوهان . وترده الى حظيرة الايمان . فى ظل الرجاء لرحمة الله والخوف من عقابه •

والعبادة فى الاسلام تخرج من نطاق الرهبنة تماما ، فلا رهبانية فى الاسلام ، بل توسط واتزان وتناسق للطبيعة الانسانية • والعمل صنو العبادة قال تعالى : **« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من أحسن عملا »**[٨٤] •

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا »[٨٥] •

« يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون • فاذا قضيت

---

(٨٢) الأعراف : ١٧٩

(٨٣) الامام البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مرجع سابق ، ص ٦٩٣

(٨٤) الكهف : ٣٠ (٨٥) الكهف : ١٠٧

الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »[٨٦] فالترابط بين العبادة والعمل من أجل الرزق . ترابط ايجابى . على أن العبادة يجب أن تعين على العمل . لا أن تحول دونه . كما أن العمل يجب أن يساعد على أداء العبادة . لا أن يحول دونها . والانسان بلا عمل هو فى نظر الاسلام : انسان عار عن أداء العبادة . لأن الله سبحانه لا يرضى عن الانسان السلبى الذى لا يعمل من أجل رزقه . كما لا يرضى عن الانسان الذى يؤدى العبـــادة لله تعالى فقط .

والفرد المسلم هو الذى يعمل ويؤدى العبادة لله . ويتجنب ما يعكر صفو علاقاته مع الآخرين . فلا يقتات من حقوقهم . ولا يقصر فيما يجب عليه نحوهم .

كما أن الفرد المسلم هو من لا يتواكل ويقعد عن العمل . ولا يترهب فينسلخ من طبيعته الانسانية ومتطلباتها من زواج وتناسل ومخاطرة فى سبيلهما ومسئولية ومشاركة من أجلهما .

ومن هنا كانت حياة الانسان على هذه الأرض حياة تجربة بين الايجابية والسلبية . ومباشرة العمل هى التى تكشف الايجابية والسلبية . فلا تعرف هاتين الصفتين الا بمباشرة العمل والارتباط بالآخرين . فضلا عن الارتباط بالأسرة ومعاشرة الزوجة وانجاب الأبناء . فالرهبنة فى الاسلام أمر غير طبيعى . بل هى اتجاه سلبى فى حياة الفرد لم يأذن به الله . وان وجدت فهى ابتداع من الانسان وليست ضمن الطبيعة الانســـانية .

والقرآن الكريم . وضع الرسل فى مستوى طبائع البشر ، ليسوا فوقهم . بل لهم نفس الطبيعة الانسانية من الأكل والشرب والزواج والتســـل[٨٧] .

قال تعـــالى : **« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية »**[٨٨] .

وقال سبحانه : **« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق »**[٨٩] على أن العبادة فى مجملها تستهدف

---

(٨٦) الجمعة : ٩ ، ١٠

(٨٧) محمد البهى . منهج القرآن فى تطوير المجتمع . مكتبة وهبة ، القاهرة . ١٩٧٩ . ص ١٠٧ ، ١٠٨ (٨٨) الرعد : ٣٨

(٨٩) الفرقان : ٢٠

مساعدة المؤمن فى أن يرقى الى المستوى الفاضل فى الانسانية . دون الحيلولة فى أن يباشر سعيه وعمله من أجل الرزق .

واذا كانت الصلاة تأتى على رأس العبادات التى ينبغى أن يمارسها المسلم . فان أداءها فى جماعة أفضل من أدائها فرادى بخمس وعشرين درجة . لما فى ذلك من تلاحم المسلمين فى صفوف متراصة . متساوية . لا اعوجاج فيها . ولا خلخلة بينها . فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى بيته وصلاته فى السوق خمسا وعشرين درجة . وذلك بأن أحدكم اذا توضأ فأحسن الوضوء ، وأتى المسجد لا يريد الا الصلاة ، ولا ينهزه الا الصلاة . لم يخط خطوة الا رفع له بها درجة . وحط بها عنه خطيئة . حتى يدخل المسجد . فاذا دخل المسجد كان فى صلاة ما كانت الصلاة تحبسه . والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه . يقولون : اللهم اغفر له . اللهم ارحمه . اللهم تب عليه . ما لم يؤذ فيه . أو يحدث فيه »(٩٠) .

ولا شك أن هذا التلاحم الحسى — الشأن فيه — لابد أن يتحول الى تلاحم قيمى ومعنوى . يظهر أثره فى العلاقات بين المصلين حتى تذوب من بينهم الفرقة والشقاق والتعالى والتباهى . ليحل محلها الوفاق والتواضع والتسامح والتوادد والمحبة . قال تعالى : **« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون »**(٩١) .

يقول الامام البيضاوى فى تفسير الآية : « اتل ما أوحى اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لألفاظه واستكشافا لمعانيه فان التارىء المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له أول ما قرع سمعه . وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بأن تكون سببا للانتهاء عن المعاصى حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه . روى أن فتى من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال : « ان صلاته ستنهاه » فلم يلبث الا أن تاب .

---

(٩٠) الحافظ المنذرى . مختصر سنن أبى داوود . ج ١ . تحقيق محمد حامد الفقى . مكتبة السنة المحمدية : القاهرة . ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م . ص ٢٩٤

(٩١) العنكبوت : ٤٥

ولذكر الله أكبر ولا الصلاة أكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بأن اشتمالها على ذكره هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات ولذكر الله اياكم برحمته أكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون ومن سائر الطاعات فيجازيكم به أحسن المجازاة »(٩٢) .

ولو لم يكن للصلاة من مغزى وهدف سوى أنها تحيى ضمير الانسان . فتنهاه عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التى تؤدى الى اعتداء على الحرمات . وهتك للأعراض وقطع للأوصال ؛ وفسخ للقيم ؛ أقول لو لم يكن للصلاة سوى وضع الفرد فى تنسيق واتزان مع طبيعته الانسانية وقيمه الأخلاقية لكفاها . ناهيك عن طاعة الله وعبادته والامتثال لأوامره والرقى بوجدانه وعاطفته . حتى يتحول الى انسان متعاون مع اخوانه المحتاجين ؛ يأخذ بيدهم ويمد لهم يد المساعدة والعون ؛ فيتماسك المجتمع الانسانى فى ظل العلاقات الانسانية التى تقوم على الأخوة والمودة والروابط السليمة وتبادل المصلحة ؛ فى ظل السماحة والمحبة والعدل والمساواة .

ولا نشك للحظة أن بناء الدولة الاسلامية فى مهدها الأول . يرجع الفضل فيه الى وحدة المسلمين وتماسكهم . ففى المسجد يتلاحمون وفيه يقفون صفوفا متراصة . وبداخله يتبادلون العون والمساعدة ؛ وفيه تجمع الزكاة والصدقات ؛ وفيه يستنفر المسلمون للقتال ؛ ويجمعون المال للاعداد للحرب والدفاع عن الاسلام ؛ ناهيك عن زيارة المريض الذى غاب عن الصلاة . ومساندة المحتاج والتفريج عن المكروب .

واذا كانت الجماعة واجبة فى أوقات الصلاة كلها ؛ من أجل الالتحام والتماسك الاجتماعى فانها أوجب فى صلاة الجمعة وصلاة العيدين قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** »(٩٣) .

فصلاة الجمعة لها طابع خاص فى أن تؤدى فى جماعة ؛ والحرص على أدائها فى جماعة ؛ يدعو الى السعى اليها حين يؤذن المؤذن لها .

---

(٩٢) الامام البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مرجع سابق ؛ ص ٥٣٠ (٩٣) الجمعة : ٩ ، ١٠

وترك العمل فترة أدائها فى جماعة ، الأمر الذى يزيد من الروابط وفيه الخير للمسلمين فى أمر الدنيا والدين .

ولا يلزم من أداء الجمعة فى جماعة . التفرغ لها أكثر من وقت أدائها . فاذا انتهت عاد المسلم الى الحركة والسعى من أجل الرزق . **« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله »** « وبذلك يكون هناك تكافؤ فى المنزلة عند الله . بين : أداء العبادة .. ومباشرة العمل فى سبيل العيش . ويستوى نوع العمل فى سبيل العيش أن يكون تجارة .. أو زراعة .. أو حرفة ما .. أو كشفا لموارد جديدة من فضل الله فى الأرض التى يعيش عليها الانسان » **« واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »** « ولكن لا تنسيكم عودتكم الى حياة العمل وحركته . ذكر الله بل يجب أن تكونوا على ذكر منه كذلك فى مباشرة عملكم . اذا أردتم النجاح فيه . فذكر الله سيجعل وعيكم واضحا لما يحل ولما يحرم : من ضروب الحصول على المال . واقتناء الملك . وعندئذ تحرصون أن يكون طريقكم فى الحصول على الرزق هو الطريق الذى لا يؤذى غيركم ان لم يعنه على منفعة له »[٩٤] .

* * *

٣ ــ دور الزكاة فى بناء العلاقات الانسانية : ألمحنا أن الصلاة لها دور فى بناء العلاقات الانسانية على مستوى الجماعة التى ينتمى اليها الفرد . بالاضافة الى أنها طاعة لله رب العالمين . فيها بناء للروح والوجدان والضمير الأخلاقى . وتأتى الزكاة قرينة الصلاة فى كثير من آيات القرآن الكريم . قال تعالى : **« تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون »**[٩٥] وصدر الآية كناية عن مداومة الصلاة . كما أن عجزها يدل على أن الانفاق من فضل الله ونعمته .

وهكذا يكون الانفاق بوجه عام مرحلة من المراحل التى ساهمت تكوين المجتمع الاسلامى . قبل تعيين فريضة الزكاة ، ولقد كان طلب الانفاق فى مبدأ الدعوة من أجل الخير للانسانية كما طلب فى صورة غير مباشرة . وهو أن الذى لا ينفق على صاحب الحاجة فى الأمة هو من

---

(٩٤) محمد البهى . منهج القرآن فى تطوير المجتمع . مرجع سابق ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ (٩٥) السجدة : ١٦

الماديين الوثنيين غير المؤمنين ؛ لأن المادى هو الفرد الأنانى الذى لا يتأثر بالرابطة الاجتماعية والانسانية فى تعامله . بينما يكون المؤمن هو الذى يرتفع فى علاقاته بغيره عن الأسباب والدواعى المادية . قال تعالى : « **ارأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم . ولا يحض على طعام المسكين** »[٩٦] .

والتكذيب بالدين هو نكران الجزاء الأخروى . وانكار البعث والجزاء والمنكر لذلك هو الوثنى المادى ؛ فالتكذيب بالدين تعبير عن انكار الآخرة . والذى يدع اليتيم ؛ هو من يحرمه من حق فى تسلم ماله . وفى استثماره استثمارا طيبا وهو تحت حوزته « **ولا يحض على طعام المسكين** » أى أن من يكذب بالدين هو كذلك من يتراخى ويهمل تلبية حاجة ذى الحاجة .

من هنا تكون صفة المؤمن على الضد من صفة المادى ؟ لأن صفة المؤمن تقوم على النجدة والتعاون مع الآخرين فى الأمة . والتنديد بالمادى فى الآية ؛ فيه ايحاء غير مباشر بطلب الانفاق من المؤمن فى سبيل المصلحة العامة[٩٧] .

وجريا على منهج الاسلام فى أسلوب التدرج ؛ وبعد أن أصبح الانفاق من الصفات اللازمة للمؤمنين . أو المكونة لمفهوم اتصافهم بالايمان . تأتى سورة البقرة لتقرر الحد الأدنى للانفاق وتسميه بالزكاة ؛ كما تضع الحد الأعلى له وتسميه « بالعفو » أى الزائد عن حاجة صاحب المال فى الانفاق على نفسه ومن يجب عليه أن يعولهم قال تعالى : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ، ان الله بما تعملون بصير** »[٩٨] فى الآية طلب للزكاة تناولت السنة تفصيل وجوبه ؛ وأسلوب اخراجه ؛ فى الأموال وفى الزراعة والتجارة والمعادن والثروة الحيوانية والمدخرات ؛ على أن الانفاق بالقدر الزائد عن الحد الأدنى الذى تقرر بالزكاة ما زال مستمرا ؛ وما زال بابه مفتوحا أمام المسلم . يدل عليه عجز الآية : « **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله** » .

وعموما فان الاسلام أنزل الزكاة منزلة رفيعة ؛ بل جعلها من صفات المتقين الصادقين ؛ كما قرنها باقام الصلاة ، والصبر فى الشدائد ؛

---

(٩٦) الماعون : ١ — ٣

(٩٧) المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٣

(٩٨) البقرة : ١١٠

والوفاء بالعهود . وأيضا جعلها أمارة الصدق فى الايمان والبعد عن مساوئ المفسدين والوثنيين[99] قال تعالى : « **ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا ، وأولئك هم المتقون** »[100] .

وقوله تعالى : « **وآتى المال على حبه** » أى على حب المال كما قال عليه السلام حين سئل أى الصدقة أفضل ؟ قال : « أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر . ذوى القربى اليتامى » يريد المحويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس . وقدم ذوى القربى لأن ايتاءهم أفضل كما قال صلى الله عليه وسلم : « صدقتك على المسكين صدقة . وعلى ذوى رحمك اثنتان : صدقة وصلة » والمساكين جمع مسكين وهو الذى أسكنه الخلة . وابن السبيل هو المسافر . والسائلين الذين ألجأتهم الحاجة الى السؤال . قال عليه السلام : « للسائل حق وان جاء على فرسه » . وفى الرقاب : وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين أو فك الاسرى أو ابتياع الرقاب لعتقها « وأقام الصلاة » : المفروضة « وآتى الزكاة » : يحتمل أن يكون المقصود منه ومن قوله : « وآتى المال » : الزكاة المفروضة . ولكن الغرض من الأول بيان مصارفها ومن الثانى أدؤها والحث عليها . ويحتمل أن يكون المراد بالأول نوافل الصدقات أو حقوقا كانت فى المال سوى الزكاة . يقول الامام البيضاوى : « والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية بأسرها دالة عليها صريحا أو ضمنا غانيا بكثرتها أو تشعبها منحصرة فى ثلاثة أشياء : صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس . وقد أشير الى الأول بقوله : « من آمن بالله » — الى « والنبيين » . والى الثانى بقوله : « وآتى المال » الى « وفى الرقاب » .. والى الثالث بقوله : « وأقام الصلاة » الى آخرها . ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه أشار بقوله عليه السلام : « من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان »[101] .

---

(٩٩) المرجع السابق : ص ١٥ ، ١٦ (١٠٠) البقرة : ١٧٧

(١٠١) الامام البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مرجع سابق . ص ٣٦

ولعلنا ندرك حينئذ أن العلاقات الانسانية الصحيحة . يقيمها الاسلام بمناهج العبادة . بحيث تتزامن العلاقات الانسانية ويظهر أثرها مع أداء الفرد المسلم لتلك العبادة . والترابط بين مصالح البشر فى الدنيا وأدائهم للعبادة أمر مقرر فى هذا الدين لأنه دين « لا يغفل أبدا عن الواقع العملى فى محيط الحياة ، ولا عن حقيقة النفس البشرية . وما يعتورها من ارتفاع وهبوط . وتطلع وانكماش ، وأشواق طائرة . وضرورات مقيدة . وطاقة محدودة . على كل حال ، دون الكمال المطلق فى جميع الأحوال .

وعلى قدر علمه العميق بأغوار النفس البشرية يشرع ويوجه . ويصوغ أوامره ونواهيه ، ويضع حدوده وينفذها . ثم يهتف للضمير البشرى أن يتسامى فوق التكاليف المفروضة ما استطاع . والحياة تصبح ممكنة وصالحة . اذا نحن نفذنا التكاليف المفروضة فى هذا الدين »[١٠٢] .

وحين تنفذ تكاليف الدين . فسوف نضمن التكافل الاجتماعى . بحيث يصبح آحاد الشعب فى كفالة الجماعة ، وأن يكون كل قادر أو ذى سلطان كفيلا فى مجتمعه يمد أخاه بالخير . فتلتقى كل القوى الانسانية فى المجتمع من أجل مصالح الفرد ودفع الضر عنه ، وأيضا دفع الضرر عن البنيان الاجتماعى واقامته على أسس سليمة . قال صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا »[١٠٣] .

وبهذا التكافل يتحقق المجتمع الفاضل الذى يتناسق أفراده فى سلسلة واحدة ، قوامها التوحيد وأسلوبها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

هذا واذا كانت عملية اعداد الفرد فى نظم التربية الحديثة ، تختلف من مجتمع الى آخر وفقا لما يحدده كل مجتمع من نوعية ذلك الفرد ،

---

(١٠٢) سيد قطب . العدالة الاجتماعية فى الاسلام . دار الشروق . بيروت . القاهرة ١٩٧٤ . ص ٧٧

(١٠٣) محمد رأفت عثمان . الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام . ط ٢ . مطبعة السعادة . القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٢٨

وما يبتغيه ويتوقعه منه . الأمر الذى ترتب عليه اختفاء منهج التربية العالمية . لتحل محلها تربية اجتماعية لمجتمع معين بالذات . أقول : اذا كان ذلك كذلك . فان نظام الاسلام يصنع الاطار المتكامل للكائن الانسانى . ويسعى فى تربيته وفقا للعناصر المكونة له . سواء منها : العنصر الحيوى أو الشخصى أو الأسرى أو الاجتماعى أو الانسانى . من هنا كانت عالمية الاسلام — اذا أحسن تطبيقه — وأسلوبه فى بناء البشر بنمط واحد . لا مجال فيه لمتفلسف أو صاحب منهج وضعى ؛ لأن مقوماته مستمدة من السماء . والقيم الأخلاقية تتطلب ازدهار هذا المجموع من العلاقات المتشابكة فى الانسان . لأنها كل مترابط . وهو قابل للتطور والتقدم . ولا يمكن نغفل واحدا من هذه العلاقات دون أن نوجد التناسق بينها ودون أن نربى على التوازى جميع الجوانب الى مستوى معين . أى أن النفس الانسانية يجب أن تمارس جميع القيم ومنها « ان لربك عليك حقا . ولنفسك عليك حقا . ولأهلك عليك حقا ؛ فاعط كل ذى حق حقه »(١٠٤) .

وهكذا تصبح فريضة الزكاة وسيلة لترسيخ وتدعيم وبناء المجتمع المتماسك . شريطة أن يأتى أداء المسلم لهذه العبادة بنية صادقة . تتسم بالحقائق والموضوعية والوضوح . بعيدا عن الشكلية فى الأداء والمظهرية فى العمل . ومتضمنة للقيم التى يمكن أن تسهم فى بناء الأفراد وبالتالى فى بناء المجتمع .

* * *

٤ — دور الصيام فى بناء العلاقات الانسانية : لم تخل أركان الاسلام جميعا من صلاة وزكاة وصيام وحج من هدف تربوى . ومغزى انسانى . يرتبط بالقيم والمبادىء التى تسير ركب الحياة ؛ ولا تخلو هذه عن أن تكون عبادة بدنية . مثل الصلاة والصيام . أو مادية تتصل بالمال وهى الزكاة . أو بدنية مادية كالحج .

وتكليف المسلم بتلك العبادات لا يعنى المشقة فى مظهرها الجسمى والمادى . والحيلولة دون ممارسة الانسان تمتعه بالحياة من مال او بدن . انما يهدف الاسلام بالتكليف البدنى أو المادى تصفية الروح

---

(١٠٤) محمد عبد الله دراز . دستور الأخلاق فى القرآن . دراسة مقارنة للأخلاق النظرية فى القرآن . مؤسسة الرسالة . بيروت ؛ ط ١ ١٩٧٣ . ص ٨٩ ، ٩٠

وتهذيب النفس . يهدف الى أن ينتهى المسلم عن الفحشاء والمنكر بأداء الصلاه . ويهدف أيضا الى تقوية العلاقات الأخوية وتدعيم روح القربى والجوار بالزكاة . ويهدف كذلك الى تجنب اللغو فى القول والباطل من العمل بالصيام . وأخيرا يهدف الى تجديد العهد بالأخوة الصادقة بين المسلمين فى سبيل رسالة كريمة لأنفسهم وللانسانية بأدائهم الحج الذى فيه اضافة لما تقدم تذكير للمؤمنين بأول بقعة نشأت فيها دعوة الاسلام . وبآخر مكان جاء فيه نصر الله والفتح[١٠٥] .

واذا كانت الصلاة تقوم على تخلية الانسان نفسه من شواغل الدنيا حين يتوجه الى الله بقوله : « الله أكبر » واذا كانت الزكاة هى أداء حق الفقراء والمساكين وغيرهما من أصناف المستحقين للزكاة . واذا كان الحج يتسم بمشقة البدن فى السفر . وبذل المال بالانفاق . اذا صح ما تقدم ، فان الصيام ينفرد بكونه كفاحا وجهادا موجها من الذات ضد الذات ، وموجها من نفس الانسان ضد رغبات جسمه وبدنه . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى » .

وفى عدم تحديد جزاء الصائم فى هذا الحديث من قبل الله عز وجل ، بمثل ما ذكر فى صدر الحديث من مضاعفة الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف . مما يؤكد على تفرد الصوم من بين سائر العبادات الأخرى . بتساميه عن التحديد والتقدير عند الله عز وجل ، وعبادة هذا شأنها . وتلك منزلتها . لا شك أنها الوحيدة التى يبرز فيها الصراع والكفاح من الانسان الى شىء يتعلق بذات الانسان ، لأن الصائم يكافح ويجاهد الهوى والشهوة . لينتصر لايمانه بالله رب العالمين ، وليكبح جماح الالف والعادة التى تلازمه فى حياته اليومية ، فينتصر بارادته ، ويحيى ضميره . ويخضع رغبات بدنه وروحه . فيصير صاحب الأمر عليها ، بدلا من أن يكون مستسلما ذليلا لها .

والمسلم تتنازعه قوتان : دعوة الشهوة ، ودعوة الرحمن ، فبينما الأولى تستهويه ليلبى نداءها ، ويستجيب لمطالبها ، فان الثانية تناديه أن يكف عن تلبية رغبات النفس وشهوات الجسم ، ويطيع الله رب

---

(١٠٥) محمد البهى . الاسلام فى حياة المسلم . مرجع سابق ، ص ٣٥ .

العالمين . فيدع طعامه وشهوته من أجل الله . عندئذ يصبح خليقا باحتضان الله له مستحقا لمثوبته وجزائه اللامحدود . بعد أن أتى بهذا العمل الشاق . وانتصر لنفسه من ذاته وسيطر عليها . وأيقظ فيها الضمير . فيصبح انسانا مراقبا لأعماله . متمسكا بقيمه ومبادئه . مجتنبا لليأس والاخفاق عند المحن والكروب . كاظما غيظه حين يكون كظم الغيظ حكمة . صبورا ومتحملا فى سبيل تحصيل رزقه . ضاربا بأخلاقه المثل الأعلى فى محبة اخوانه . لأنه لا يستطيع أن يعيش وحده . انما هو مرتبط بمجتمع ومرتبط بآخرين يشاركونه الحياة والعمل والمنافسة فلا مندوحة له من استثمار درس الصيام . وما خرج به منه من تعلم للصبر ورقابة على النفس . لا مندوحة من استثمار ذلك فى السمو بعلاقاته الانسانية مع الآخرين . لتصبح نفسه مؤهلة لقاء ما تفرضه الحياة عليها من حرمان . وما تحدثه من أزمات . كما تصبح نفس الغنى مقبلة على مساعدة المحروم . والأخذ بيد المريض والعاجز . بذلك يلتئم صدع المجتمع . وتبدو فيه العلاقات الانسانية . التى قوامها المشاركة فى العبادة . الأمر الذى يميز المسلمين عن غيرهم من الامم والمجتمعات . ليس فى أدائهم للعبادة فقط . وانما فى كونهم أمة لا تتخلف عن نداء ربها وتطبيق شرع الله فيما بينها .

والصيام بهذا المفهوم يعيد للأمة تماسكها . وللأفراد ترابطهم . فلا ينبغى أن يكون الصيام . سببا لنفرة الأفراد بعضهم من بعض . أو محركا للخلاف والشقاق ؛ أو داعيا لاهمال العمل أو التراخى فيه . أو التستر خلفه دفعا للوم أو تبريرا لاهمال . أو تواكلا عن عمل . فالصيام فيه وحدة القلوب والمشاعر . ولا مكان فيه لتبرير مهمل . أو اعتذار مقصر . أو تمزيق لألفة . بل عكس ذلك يكون . تلاق وتصاف . وتماسك وترابط تحت مظلة التوحيد وتلبية نداء الله رب العالمين »[١٠٦] .

والمجتمع المتمسك بأداء الصوم . هو المجتمع الذى يمتثل أوامر الله . ويلبى دعوته ونداءه . هو المجتمع الذى يشيع فيه العدل والسلام والأخوة من التعاون فيتسامى الى مستوى أرفع فى الانسانية ، وهو المستوى المهذب الصافى الطاهر البعيد عن الحقد والايذاء ، والفرد الصائم هو الانسان الصلب الذى يؤثر انسانيته على ما فيه من حيوانية ،

---

١٠٦ محمد البهى . الاسلام فى حياة المسلم . مرجع سابق ، ص ١٩ — ٢٥

فيدفع بصومه قوة اعتدائه على نفسه . ويتهيأ لعدم الاستسلام للشر أيا كان مصدره ، لأنه طالما امتثل لله . فهو لا يرضخ لما عداه من قوى الطغيان والفساد .

ولا غرابة فى ذلك . فالصائم الذى تمرس على أن يتحمل الجوع والعطش طوال النهار . والصائم الذى كف عن لغو الحديث مما يقع فى الحياة اليومية . والصائم الذى أمسك شهوته وكف جماحها : الصائم الذى أتى بذلك كله خليق أن يلتزم بالتوجيه السليم فى الحياة . ويتغلب على مشاقها وصعابها ويسعى فى سبيل تماسك أفرادها ، لأن هدف الصوم هو اخراج الفرد المسلم من دائرة الطفولة الى دائرة الرشد الانسانى[١٠٧] .

والصوم بذلك وسيلة لا غنى عنها لبناء الفرد الذى يستطيع أن يحمل رسالته فى الحياة ويؤديها على وجهها الصحيح ، بما يسعد نفسه لا بما يشقيها ، وبما يحييها لا بما يميتها .

وعموما فان الانسجام فى الطابع العام للمجتمع . ووحدة الشعور والروابط والاتجاه هى سمات المجتمع المسلم الصائم ، الذى استطاع السيطرة على رغبات النفس ، وتحكم فيها بالقدر الذى يحد من متطلباتها وأغراضها . ومجتمع هذا شأنه ليس فى حاجة الى أن يراقب بعض أفراده بعضه الآخر فى أداء الواجب ، كما أنه ليس فى حاجة الى الشحناء والمخاصمة والتقاضى ، لأنه يفعل بوحى من ضميره . ووحى ضميره هو ما يخشى فيه الله سبحانه وتعالى وهو ما يطلبه ربنا سبحانه من عباده « **وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله** »[١٠٨] .

والمجتمع الذى يتمسك بأداء الصيام ويستخدم الارادة والعزم والتصميم كوسيلة له . يستطيع بها أن يخلص فى أداء الفريضة . بعيدا عن الانحراف أو الزيغ . رجاء التقوى[١٠٩] . قال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون** »[١١٠] .

---

(١٠٧) المرجع السابق ، ص ٢٧ — ٣١

(١٠٨) الأنعام : ١٥٣

(١٠٩) المرجع السابق ، ص ٣٢ — ٣٤

(١١٠) البقرة : ١٨٣

وقال سبحانه : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر »**(١١١) .

ولا نعدو الصواب حين نقول : ان مساعدة الضعفاء فى المجتمع . هدف يقرره الاسلام . ويسهم الصوم فيه بنصيب . حيث يتعود الصائم لاحسان الى الفقراء والمحتاجين . من أجل « سلامة المجتمع من التفتت والتفكك من الروابط التى جمعت بين أفراده بتصفية النفوس من الحقد وتزكيتها وتطهيرها من غلواء الأنانية أو المادية : الزكاة عن طريق الاعطاء والمعاونة والصوم عن طريق تحمل الحرمان من المتع المادية . ومن أجل تلازمهما فى تضامن المجتمع قيل : ان الصوم جاء التكليف به فى السنة الثانية من الهجرة وهى السنة التى جاء فيها التكليف بالانفاق الخير على وجه عام »(١١٢) .

وبهذا العرض يمكن القول ان عبادة الصوم . فيها رحمة وبر وتكافل اجتماعى . كما أن فيها علاقات انسانية بين الفرد والفرد . والفرد والجماعة . الجميع يشملهم العدل الانسانى . الذى لا يتوفر فى أى نظام وضعى قديما كان أم حديثا .. ذلكم هو الاسلام .. بعباداته السامية .

* * *

٥ ــ **دور الحج فى بناء العلاقات الانسانية :** التربية بكل مقوماتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية ؛ تسعى دائما لخدمة الفرد والمجتمع . وهى فى هذا تؤثر فى تسيير حركة المجتمع . كما أنها تتأثر بما يدور داخل الحياة الاجتماعية من نظم وأيديولوجيات .

غير أننا فى المجتمع الاسلامى ــ الشأن فينا ــ نضع مقدساتنا الدينية فى المقام الأول . نتلمس فيه مصدر التربية الصحيحة . ونجد فى مبادئها الاطار السليم لبناء منهج التربية المستقيم .

من هنا كان مشهد الحج درسا فى التربية . تتجلى فيه مواقف وتظهر فيه خبرات . يتعلم منها المسلم . كثيرا من المبادىء والقيم والأنماط التربوية . وتأتى العلاقات الانسانية فى مقدمة المبادىء التربوية المستفادة

---

(١١١) البقرة : ١٨٥

(١١٢) محمد البهى . منهج القرآن فى تطوير المجتمع . مرجع سابق . ص ٢٥

من هذا الموقف الذى جعله الاسلام ركنا أساسيا من أركان الاسلام لكل مقتدر ومستطيع .

ونحن فى هذا المقام . سنقصر حديثنا عن العلاقات الانسانية فى الحج . كثمرة تربوية ، ومبدأ من المبادىء التى تسهم فى ترسيخ دعائم المجتمع المتكامل ؛ فطالما أدرك كل فرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات بعيدا عن الأنانية وحب الذات ؛ فقد استقر المجتمع . وتثبتت أركانه فى ظل المبادىء الاسلامية السامية .

والحج فى مظهره جمع حاشد من المسلمين توافدوا من شتى بقاع الأرض ومن كل فج عميق ؛ يحدوهم الأمل والرجاء فى رضوان الله ومغفرته . وهم بلا شك شاءوا أم أبوا لابد متبادلين الخير والمنافع فى شئون دينهم ودنياهم . ذلك لأن الانسان اجتماعى بطبعه يميل الى الناس . يتعلم منهم ويعلمهم . وفى تلك المحكات تتكون العلاقات وتربو . ويظهر أثرها جليا فى سلوك الفرد . فيتحول من الأنانية الى الأثرة . من الفردية والذاتية ، الى الجماعة والاتحاد ؛ ومن الكبر والتعالى الى التواضع والتوادد ، كما يتحول من احتقار الضعفاء الى احترامهم ووضعهم حيث أراد الله لهم وسط هذا المجتمع الانسانى .

وقبل أن نتعرض لذكر المواقف التى تتجلى فيها العلاقات الانسانية كثمرة تربوية ؛ من أداء فريضة الحج ، لابد أن نبدأ بكون الحج يربط المؤمن بربه . ويعمق صلته بالله رب العالمين .

ولقد ارتبط الحج فى بدايته بترسيخ العقيدة عند المسلم . وتدعيم علاقته بالله سبحانه وتعالى . لذلك نلمح أن الهدف من بناء بيت الله على هذه الأرض هو مقاومة الوثنية والمادية ، واحسان الصلة بالله ؛ وحصر الألوهية فيه سبحانه ؛ فلا معبود سواه ؛ ولا هيمنة لغيره ، ولا تعظيم الا لجلاله . قال تعالى : « **واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئا** »(١١٣) .

كما نرى أن ترسيخ العقيدة . واحسان العلاقة بالله جاء أيضا فى المرحلة الأخيرة لمناسك الحج . قال تعالى : « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب** »(١١٤) .

وبهذا يهدف الحج من بدايته الى نهايته ؛ لبناء العقيدة الصحيحة

---

(١١٣) الحج : ٢٦ (١١٤) الحج : ٣٢

عند المسلم ، بحيث يتخلص من جميع أصناف الشرك . ويتوجه بكل طاقته الى ربه . فيحسن علاقته به . ويتوكل عليه . ويستمد من عنده العون والنجاة فى الدنيا والآخرة .

* * *

*** مواقف وعلاقات انسانية تربوية :**

تطهير البيت والاعداد للحج : والتطهير يعنى : النظافة من الأوثان والأقذار . حتى يطيب المكان لمن يطوف ويصلى فيه(١١٥) . « فهؤلاء هم الذين أنشىء البيت لهم . لا لمن يشركون بالله . ويتوجهون بالعبادة الى سواه »(١١٦) .

واذا كان تطهير البيت نداء وجهه الله سبحانه وتعالى الى ابراهيم عليه السلام حانه لتشريف وتكريم لمن يتعهد نظافة البيت الحرام . فيجتنبه الأقذار وكل ما يحيل بين المسلم وأداء الطواف والصلاة لله رب العالمين .

وهذا موقف تتجلى فيه المشاعر . مشاعر المسلم بأنه بعمله هذا يسهم فى اتاحة الفرصة لغيره من المسلمين لأداء فريضة الحج . ويبذل ما فى وسعه فى سبيل ذلك الهدف . فتتوطد الروابط الروحية . وتسمو القيم الانسانية . بالاضافة الى اجابة نداء الله الذى جاء موجها الى ابراهيم عليه السلام .

ثم يعقب تطهير البيت الأمر لابراهيم عليه السلام . أن يدعو المؤمنين لحج بيت الله الحرام « **وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق** »(١١٧) . « أى ناد فى الناس بالحج داعيا لهم لحج هذا البيت الذى أمرناك ببنائه فذكر أنه قال : يا رب كيف أبلغ الناس وصوتى لا ينفذهم ؟ فقال : ناد وعلينا البلاغ . فقام على مقامه ، وقيل على الحجر وقيل على الصفا ، وقيـــل على أبى قبيس . وقال : يا أيها الناس .. ان ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه . فيقال ان الجبال قد تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام

---

(١١٥) الامام البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مرجع سابق . ص ٤٤٣

(١١٦) سيد قطب . فى ظلال القرآن ، جـ ١٧ . مرجع سابق . ص ٢٤١٨

(١١٧) الحج ٢٧

والأصلاب . وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله له ان يحج الى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك »[118] .

وفى هذا المقام يتجلى موقف الرحلة للحج والعمرة . وما يكتنفهما من مواقف تستدعى الاحتكاك بالآخرين ، وتبادل الخبرات معهم ، وابراز أفضل الصفات والخلال الحميدة فى هذا الموقف حتى يستفيد المسلم من ذلك المشهد . فيطبق المبادىء والقيم النظرية . فتصبح حية فى كيانه . متجددة فى نفسه .

ورحلة الحج فى جوهرها استجابة لنداء الله عز وجل ، وهى بلا شك موقف ومشهد ، قلما نجد له نظيرا على وجه الأرض . يلتحم فيه المسلم بأخيه . بصرف النظر عن الجنس واللون والمنصب والجاه ... الخ . كما تظهر نوازع النفس ... وهى بلا شك متعددة ومتنوعة ، غير أن كبح جماحها ، وحسن قيادتها . مطلب أساسى فى هذه الرحلة على وجه الخصوص . حتى يستفيد المسلم ويتخلص من داء التميز والكبر والعجب . وينزل الى المستوى العام ، فيحيا حياته طيبة . كما يستثمر هذا الموقف . فى تحسين علاقاته باخوانه المسلمين ، متحملا فى سبيل ذلك جميع أنواع المشاق والمتاعب .

* **تبادل المنافع** : بالحج يتحقق التبادل المنفعى بين المسلمين . ففيه جلب للمصالح . ودفع للمضرات . وبناء للعلاقات . وتبادل للمنافع الاجتماعية والانسانية والتربوية ... والحج « موسم ومؤتمر » الحج موسم تجارة وموسم عبادة . والحج مؤتمر اجتماع وتعارف . ومؤتمر تنسيق وتعاون وهو الفريضة التى تلتقى فيها الدنيا والآخرة كما تلتقى فيها ذكريات العقيدة البعيدة والقريبة ... فهو موسم تجارة ومعرض نتاج . وسوق عالمية تقام فى كل عام . وهو موسم عبادة تصفو فيه الأرواح ، وهى تستشعر قربها من الله فى بيته الحرام . وهى ترف حول هذا البيت وتستروح الذكريات التى تحوم عليه وترف الأطياف من قريب ومن بعيد ... »[119] .

والحج فوق كل ذلك مؤتمر جامع للمسلمين ، يجدون فيه أصلهم

---

(١١٨) محمد على الصابونى . مختصر تفسير ابن كثير . المجلد الثانى ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ٧ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م . ص ٥٣٩

(١١٩) سيد قطب . فى ظلال القرآن ، ج ١٧ ، مرجع سابق ، ص ٢٤١٨ ، ٢٤١٩

العميق الضارب فى أعماق التاريخ منذ ابراهيم الخليل عليه السلام . كما يجدون محورهم الذى يشدهم جميعا اليه . ورايتهم التى يفيئون جميعا اليها . راية العقيدة والتوحيد التى تذوب وتتوارى فى ظلها فوارق الجنس واللون والوطن . وفى هذا المؤتمر تتوحد قوتهم وتترابط جماعتهم . تلك الجماعات التى تضم الملايين من كل فج وحدب . لا تستطيع قوة فى الأرض أن تقف أمامها لو أحسنت علاقاتها . وفاءت الى رايتها الواحدة . راية التوحيد .

والحج « مؤتمر للتعارف والتشاور وتنسيق الخطط وتوحيد القوى . وتبادل المنافع والسلع . والمعارف والتجارب . وتنظيم ذلك العالم الاسلامى الواحد الكامل المتكامل مرة فى كل عام فى ظل الله بالقرب من بيت الله . وفى ظلال الطاعات البعيدة والقريبة . والذكريات الغائبة والحاضرة . فى أنسب مكان وأنسب جو ، وأنسب زمان »[١٢٠] .

وبناء على ذلك . فمن المؤكد أن تحقيق كل تلك الغايات . لا ولن يتم دون تبادل للعلاقات الانسانية فى صورتها النظيفة الصحيحة . لأن الاسلام عنى ببناء علاقة الفرد بالفرد ، وعلاقته بالمجتمع . بحيث ينتظم سلوك الجماعة . فتستقيم لها الحياة . بكل مقوماتها الصحيحة .

وهكذا تنعكس صورة الحج على العلاقات الانسانية فتنميها وتصحح مسارها . وكان عبث أن يلجأ المسلم الى قوانين وضعية تحميه . ثم لا يجد الانسان الذى يقتنع بتلك القوانين وينفذها .

بيد أن ترسيخ دعائم المحبة والاخاء والمساواة فى ظل الاسلام . تضمن السلامة والأمن . بل وتفوق كل القوانين الوضعية . التى لا تحمى البشر الا خوفا من عقاب . دون اقتناع داخلى . وكان لا بد من اللجوء الى الدين . ففيه تتدعم القيم ... كالأمنة وحسن الجوار وحسن العلاقات الانسانية ... وهكذا وجد الانسان أن تلك القيم فى ظل الدين أقوى من القوانين فى حماية الأفراد من الاعتداء ، وأصبح جزءا مهما من التربية . تلك القيم التى أصبحت بمثابة موجهات لسلوك الأفراد فى تبادل منافعهم أولا . ثم حماية لهم من الغير ثانيا عندما تسود المجتمع تلك القيم وتصبح مادة حية فى كيان وتركيب كل انسان فى ذلك المجتمع .

---

١٢٠ - المرجع السابق ، ص ٢٤١٩ ، ٢٤٢٠ .

* **تدعيم الروابط بين الأغنياء والفقراء** : ويظهر ذلك جليا حين نلمح ان الآيه الكريمه : « ... **ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام** »[١٢١] تعنى نحر الذبائح فى أيام العيد وأيام التشريق الثلاثة بعده وتقدم ذكر الله فى الآية على الذبح . لأن الموسم موسم عبادة . ولكن أى الناس أحق بهذا المذبوح ؟ انهم هم الفقراء : « ... **فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير** ... »[١٢٢] والأمر بالأكل من الذبيحة يوم النحر هو أمر للاباحة أو الاستحباب . أما الأمر باطعام البائس الفقير منها فهو أمر للوجوب . ولعل المقصود من أكل صاحبها منها أن يشعر الفقراء أنها طيبة كريمة »[١٢٣] .

ومشاركة الفقراء هنا تعنى هدفا اجتماعيا يقوم على أساس : « تأكيد الاعتراف بالمساواة فى الاعتبار البشرى بين أفراد المجتمع الاسلامى جميعا ... وعلى أن فى اطعام الفقراء مما لا يتيسر لهم الا فى مناسبات : هو علاج لعقد نفوسهم على الأثرياء وتقريب لهم من هؤلاء ... »[١٢٤] .

وهكذا يستمر درس الحج فى بناء الكيان الاجتماعى للمسلمين ؛ بحيث تتقارب بينهم الفوارق الطبقية . وتختفى من بينهم النزعة العرقية . كما يظهر حق الفقير فى مال الغنى . وينتظم الجميع فى جو سليم من العلاقات الانسانية المتكاملة .

* **الاقلاع عن قول الزور** : قال تعالى : « **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به** »[١٢٥] يقول الامام البيضاوى : « **فاجتنبوا الرجس** » الذى هو الأوثان كما تجتنب الأنجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير من عبادتها . « **واجتنبوا قول الزور** » تعميم بعد تخصيص فان عبادة الأوثان رأس الزور كأنه لما حث على تعظيم الحرمات أتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم الأوثان والافتراء على الله بأنه حكم

---

(١٢١) الحج : ٢٨ (١٢٢) الحج : ٢٨

(١٢٣) سيد قطب . فى ظلال القرآن ؛ مرجع سابق ؛ ص ٢٤٢

(١٢٤) محمد البهى . منهج القرآن فى تطوير المجتمع . مرجع سابق ؛ ص ٣٣ (١٢٥) الحج : ٣٠ ، ٣١

بذلك . وقيل شهادة الزور لما روى أنه عليه السلام قال : « عدلت شهادة الزور الاشراك بالله » ــ ثلاثا . وتلا هذه الآية ... »[١٢٦] .

ولا شك أن قول الزور آفة تصيب الفرد يترتب عليها اهدار الحقوق وتفكك العلاقات . غير أن المسلم اذا أدرك أثناء أدائه للحج قيمة الاقلاع عن قول الزور والتمسك بالآداب والقيم ؛ فلا شك أنه سيصبح فردا صالحا فى ذاته وفى الجماعة التى ينتمى اليها .

وفى الصحيحين عن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : «الاشراك بالله وعقوق الوالدين ــ وكان متكئا فجلس ــ فقال : ألا وقول الزور . ألا وشهادة الزور »[١٢٧] .

* **الوحدة والتآخى بين المسلمين :** مناسك الحج جميعها فيها دعوة للاخاء والتعاون . ومشاركة المسلم لأخيه فى الدعوة الى الله ودرء الاعتداء عن المسلمين . وفى مناسك الحج أيضا ؛ نلمح الانصهار والتوحد حول العقيدة نلمح ذلك فى الطواف بالكعبة ؛ وفى الوقوف بعرفة ؛ لأن ذلك يتم كله فى وقت واحد ؛ يلهث المسلمون بألسنتهم بدعاء واحد . وقول واحد . ويمتثلون لرب واحد « لبيك اللهم لبيك » انه بلا شك مظهر من مظاهر انصهار الفوارق الشخصية بين المسلمين ؛ والذى من شأنه أن يتحول الى شعور اخاء وعلاقات انسانية دائمة ومتجددة ومتواصلة .

ولا غرو فوحدة القلوب ، ووحدة الدعاء ووحدة المظهر ؛ والانصهار بين جميع الأجناس والقبائل والأماكن واللغات واللون والثقافات والمكانة الاجتماعية ؛ كل ذلك هو المصاحب لمناسك الحج جميعا[١٢٨] .

وبهذا يتضح أن الحج درس تربوى عملى ؛ يرتبط فيه المسلم بربه ودينه واخوانه ؛ ويصبح لبنة قوية داخل المجتمع الاسلامى الذى ينتمى اليه .

* * *

---

(١٢٦) الامام البيضاوى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل . مرجع سابق ؛ ص ٤٤٣ ؛ ٤٤٤

(١٢٧) محمد على الصابونى . مختصر تفسير ابن كثير . المجلد الثامن . مرجع سابق . ص ٥٤٠

(١٢٨) محمد البهى . الاسلام فى حياة المسلم . مرجع سابق ، ص ٤٨ . ٤٩

(ب) العلاقات الانسانية فى الأسرة :

أولا ــ فى الحقوق الزوجية : بنيت العلاقات الانسانية داخل الأسرة ، على أساس الرابطة القوية ، التى تربط الآباء بالأبناء ، والأبناء بالآباء ، فهى رابطة الأسرة المتلاحقة بأجيالها بعد الرابطة فى الله ووحدة الاتجاه . ولما كان الله سبحانه وتعالى أرحم بعباده من الآباء والأبناء ، فقد أوصى كلاهما بالآخر ، وقرن تلك الوصية بمعرفة الوهيته الواحدة ، لأن الله الذى تكفل بالرزق ، لا يليق بالعبد أن يضيق بالتبعات تجاه الوالدين فى كبرهما أو الأولاد فى ضعفهم ، فالله سبحانه متكفل برزق الجميع[١٢٩] ، قال تعالى : **« قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم »**[١٣٠] .

والأسرة كيانها الزوج والزوجة ، والأبناء والبنات ، والاسلام يهدف من وراء الزواج الى الاطمئنان والسكن والرحمة والمودة ، قال تعالى : **« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »**[١٣١] .

ولم يكن النمو فى العدد هو وحده المقصود كهدف ، وانما يصاحب ذلك نمو فى العلاقة بين أفراده ، وبهذا يتميز الانسان عن النبات والحيوان ، ويصبح هو الكائن المتسم بالحركة والنمو والمجتمع ، لأن المجتمع ليس كثرة عددية تنمو فقط ، وانما هو علاقات بين الأفراد تقوى بالاطمئنان ، وتصفو بالمودة والرحمة بين كل اثنين .

واذا لم يتحقق هذا الهدف من الاطمئنان والسلام والمحبة والمودة والرحمة فى العلاقات الزوجية ، فان الانسان يبقى فى نطاق النمو العددى فقط شأنه فى ذلك شأن النبات والحيوان .

« ولكى يكون الزوجان : الذكر ، والأنثى ، منهما نواة المجتمع ، كان النكاح بينهما ، ولكى يتحقق فى علاقتهما هدف المجتمع من الاطمئنان ... والمودة ... والرحمة ، كانت الأسرة فى حدود معينة ، تعين هذه الحدود على تحقيق الهدف المرجو بين الزوجين »[١٣٢] .

---

(١٢٩) سيد قطب . فى ظلال القرآن ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ١٢٣

(١٣٠) الأنعام : ٥١ (١٣١) الروم : ٢١

(١٣٢) محمد البهى . منهج القرآن فى تطوير المجتمع . مرجع سابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨

ولم يترك الاسلام العلاقة بين الزوجين للصدفة والأهواء . بل نظمها سواء فيما يتعلق بالمعاشرة الجنسية وموجباتها وما يتبع ازاءها . قال تعالى : « **نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم ، وقدموا لأنفسكم** »(١٣٣) كما نظم الاسلام ما كان سائدا فى الجاهلية من امتهان للمرأة . واهدار لكرامتها . واستغلال لضعف بدنها . فوضع الطلاق كاطار يلجأ اليه الزوجان وقت احتدام الخلاف . واستحالة المعاشرة بالمعروف(١٣٤) . قال تعالى : « **الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان** »(١٣٥) .

واستمرارا فى المحافظة على بقاء الأسرة وصيانتها . أباح الاسلام المراجعة وبقاء العلاقة الزوجية . طالما لم تنته فترة العدة . وطالما بدا للزوجين أنهما سيقيمان حدود الله ويتبعان نهجه السليم(١٣٦) . قال تعالى : « **فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** »(١٣٧) .

ثانيا ــ العلاقات بين الآباء والأبناء : اذا نظرنا فى العلاقات بين الآباء والأبناء . نجد أن الاسلام أمر بالرفق داخل الأسرة والمعاملة الحسنة للأبناء واسداء النصح لهم . وتعليمهم وتوجيههم . قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى : « ان الله يحب الرفق فى الأمر كله » وفيما رواه أحمد والبيهقى قال صلى الله عليه وسلم : « اذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق . وان الرفق لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا أحسن منه . وان العنف لو كان خلقا لما رأى الناس خلقا أقبح منه » . وروى أبو الشيخ فى الثواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رحم الله والدا أعان ولده على بره »(١٣٨) .

وليس معنى الرفق بالولد تدليله وتحقيق جميع رغباته المتلاحقة ،

---

(١٣٣) البقرة : ٢٢٣

(١٣٤) المرجع السابق . ص ٢٣٩ . ٢٤٠

(١٣٥) البقرة : ٢٢٩ (١٣٦) المرجع السابق . ص ٤٤

(١٣٧) البقرة : ٢٣٠

(١٣٨) عبد الله ناصح علوان . تربية الأولاد فى الاسلام . ج ١ ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع . حلب . بيروت . ط ٣ (١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م) ص ١٢٧

فان ذلك لا يعين الولد على النجاح فى حياته . بل قد يؤدى فى النهاية الى خيبة الأمل وذهاب الرجاء فى اصلاح شأن الولد . ذلك أن الولد المدلل فى تربيته لم يعرف من الحياة الا ما حلا له ، ورغب فى تحقيقه ، وسعى لدى والديه لانجازه فلم يتدرب على ارتكاب الصعب ومشقاته واجتياز الصعاب ومشاقها(١٣٩) .

ومن هنا كان على الآباء مسئولية كبيرة تجاه أبنائهم وبناتهم . بحيث تنبع تلك المسئولية من صميم الدين الاسلامى . وبحيث يؤدى الآباء حق أبنائهم عليهم . حتى يقتنع الأبناء بواجباتهم نحو والديهم وأسرهم . فتتم علاقات متبادلة فى ظل من هدى الاسلام وتعاليمه .

« جاء رجل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يشكو اليه عقوق ابنه . فأحضر عمر الولد وأنبه على عقوقه لأبيه ، ونسيانه لحقوقه ، فقال الولد : يا أمير المؤمنين .. أليس للولد حقوق على أبيه ؟ قال : بلى . قال : فما هى يا أمير المؤمنين ؟ قال عمر : أن ينتقى أمه ، ويحسن اسمه . ويعلمه الكتاب — أى القرآن — قال الولد : يا أمير المؤمنين ان أبى لم يفعل شيئا من ذلك ، أما أمى فانها زنجية كانت لمجوسى ، وقد سمانى جعلا — أى خنفساء — ولم يعلمنى من الكتاب حرفا واحدا .

فالتفت عمر الى الرجل وقال له : جئت الى تشكو عقوق ابنك ، وقد عققته قبل أن يعقك ، وأسأت اليه قبل أن يسىء اليك »(١٤٠) .

واذا كانت هذه هى حقوق الأبناء على الآباء فى اطار الاسلام ، فان للآباء على أبنائهم حقوقا وردت كثيرة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة . قال تعالى : **« وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ، اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا »(١٤١) .**

يقول الامام البيضاوى فى تفسير تلك الآية : « وقضى ربك وأمر أمرا مقطوعا به بأن لا تعبدوا الا اياه لأن غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام ... وبالوالدين احسانا وبأن تحسنوا

---

(١٣٩) محمد البهى . الاسلام فى حياة المسلم . مرجع سابق ، ص ٢٦

(١٤٠) عبد الله صالح علوان . تربية الأولاد فى الاسلام . ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨

(١٤١) الاسراء : ٢٣ ، ٢٤

أو وأحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش .. اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما .. ومعنى عندك أن يكونا فى كنفه وكفالته . فلا تقل لهما أف . فلا تتضجر مما يستقذر منهما ولا تستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر ... والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الايذاء قياسا بطريق الأولى ... ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل أبيه وهو فى صف المشركين . نهى عما يؤذيهما بعد الأمر بالاحسان بهما . ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك ... وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه . واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع معهما ... وأمرد بخفضه مبالغة ... من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقادهما الى من كان أفقر خلق الله تعالى اليهما بالأمس . وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين . لأن من الرحمة أن يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين . روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ان أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر . فهل قضيتهما حقهما ؟ قال : لا . فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما »[١٤٢] .

ولا نظنن بحاجة الى تعليق بعد هذا العرض الكامل المتكامل . الذى جاء خير هاد للبشرية . يحدد العلاقات بين الأزواج والزوجات . والآباء والأبناء . ويرسى معالم الطريق الصحيح . لاستقرار الأسرة المسلمة فى ظل التعاليم الاسلامية السمحة .

* * *

(ج) العلاقات الانسانية فى المجتمع :

لقد كانت عناية الاسلام . بتدعيم علاقة المسلمين بعضهم ببعض . ذات أهمية خاصة . أولاها الدين الاسلامى عناية معينة . وملامح العلاقات الانسانية فى المجتمع متعددة . ويصعب حصرها . نظرا لأن علاقة الفرد بغيره متنوعة ؛ فقد تكون علاقة بالوالدين والأقارب وقد

---

(١٤٢) الامام البيضاوى . انوار التنزيل وأسرار التاويل . مرجع سابق . ص ٣٧٣ : ٣٧٤

تكون للزوجة وقد تكون للجار القريب والبعيد . اضافة الى أفراد المجتمع الاخرين الذين يحتك بهم . مع زميل فى عمل . او شريك فى تجارة . او رئيس يرأسه .. الخ . هذه الأنواع من العلاقات . نظمها الاسلام وبين أحكامها التى يمكن أن تتولد عن هذه العلاقات(١٤٣) .

وقد ورد فى القرآن الكريم والسنة المطهرة الكثير من الملامح حول تلك العلاقات منها :

١ ــ **الأخوة** : هذه الأخوة التى من أجلها . قاسم المهاجرون الأنصار ديارهم وأموالهم . حتى كان البعض يؤثر غيره بالشىء وهو فى حاجة ماسة اليه . قال تعالى : « **انما المؤمنون اخوة** »(١٤٤) وقال جل شأنه : « **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** »(١٤٥) واذا صح أن المسلمين تربطهم الأخوة فى الله . فلا يليق بهم أن يتفرقوا ويختلفوا . قال تعالى : « **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات** »(١٤٦) .

٢ ــ **احترام حق الحياة** : فالاسلام يصون النفس البشرية . ويحفظ عليها الحياة ويحرم قتلها بغير حق . قال تعالى : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما** »(١٤٧) ويقول صلى الله عليه وسلم : « لن يزال المؤمن فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما » وقد بلغ من حرص الاسلام على احترام حق الحياة أن حرم الانتحار بشتى أشكاله وألوانه . قال صلى الله عليه وسلم : « من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا . ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يتوجأ بها فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا » .

٣ ــ **احترام وصيانة الأعراض** : لقد كفلت شريعة الاسلام ما يصون الأعراض عن الانتهاك بالزنا أو بالقذف . وقد وضعت بذلك الحقوق والأحكام . والعقوبات المتفاوتة وفقا لطبيعة كل فعل .

---

(١٤٣) محمد رأفت عثمان . الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام . مرجع سابق ، ص ١١٤

(١٤٤) الحجرات : ١٠

(١٤٥) آل عمران : ١٠٣

(١٤٦) آل عمران : ١٠٥

(١٤٧) النساء : ٩٣

قال تعـالى : « **الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** »(١٤٨) .

٤ ــ **المحافظة على المـال** : أمر الاسلام بحفظ أموال الضعفاء حتى يشبوا ويكبروا . ولذلك أمر سبحانه بحفظ مال اليتيم قال تعالى : « **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشـده** »(١٤٩) كما جعل عقوبة السارق قطع اليد . قال تعالى : « **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم . الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم** »(١٥٠) كما أوجب الاسلام رد الأمانات الى أهلها . قال تعالى : « **ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها** »(١٥١) .

٥ ــ **مبدأ الشورى** : من سمات الاسـلام أن جعل عـلاقات المسلمين بعضهم ببعض تقوم على مبدأ الشورى . وقد مدح الله هذا المبدأ فى سورة مسماة بهذا المبـدأ العظيم . قال تعـالى : « **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقـون** »(١٥٢) .

٦ ــ **الصـدق** : حث الاسلام على التزام المسلم للصدق فى كل أقواله . فلا يجعل للكذب عليه سبيلا ؛ وذلك حتى تكون علاقات الناس مبنية على أساس صحيح من الصفاء والنقاء ؛ لا خداع فيها ولا زيف . قال تعـالى : « **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** »(١٥٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ؛ وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور . وان الفجور يهدى الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » والصدق صفة المؤمن كما أن الكذب صفة المنـافق .

---

(١٤٨) النور : ٢
(١٤٩) الاسراء : ٣٤
(١٥٠) المـائدة : ٣٣ ، ٣٤
(١٥١) النساء : ٥٨
(١٥٢) الشورى : ٣٨
(١٥٣) التوبة : ١١٩

٧ ــ **حسن الجوار** : اهتم الاسلام ببناء علاقات الجوار على اسلوب الحب والاخاء والمعاملة الحسنة . قال تعالى : « **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا** »(١٥٤) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره » وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أتدرون ما حق الجار ؟ ان استعان بك أعنته . وان استنصرك نصرته . وان استقرضك أقرضته . وان افتقر عدت عليه . وان مرض عدته . وان مات تبعت جنازته . وان أصابه خير هنأته . وان أصابته مصيبة عزيته . ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه ؛ ولا تؤذه . واذا اشتريت فاكهة فاهد له . فان لم تفعل فأدخلها سرا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده . ولا تؤذه بقتار قدرك ــ يعنى رائحة اللحم التى تفوح من القدر ــ الا أن تغرف له منها »(١٥٥) .

واذا عدنا الى القرآن الكريم فسنجد فيه جماع الامر كله فى سورة الأنعام . قال تعالى : « **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ، ألا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ، ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم ، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا نكلف نفسا الا وسعها ، واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** »(١٥٦) .

ومما لا شك فيه أن هذه الآيات جمعت قوام هذا الدين كله ؛ لأن فيها « قوام حياة الضمير بالتوجيه وقوام حياة الأسرة بأجيالها

---

(١٥٤) النساء : ٣٦

(١٥٥) لمزيد من التفصيلات يرجع الى ص ١١٤ ــ ١٢٨ ؛ محمد رافت عثمان . الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية فى الاسلام . مرجع سابق .

(١٥٦) الأنعام : ١٥١ ــ ١٥٣

المتتابعة . وقوام حياة المجتمع بالتكافل والطهارة فيما يجرى من معاملات . وقوام حياة الانسانية وما يحوط الحقوق فيها من ضمانات . مرتبطة بعهد الله . كما انها بدئت بتوحيد الله ... »[١٥٧] .

ويذكر الامام البيضاوى فى تفسير تلك الآيات : « **قل تعالوا** » أمر من التعالى « **أتل** » اقرأ « **ما حرم ربكم** » بمعنى اتل أى شىء حرمه ربكم « **عليكم** » ، « **ألا تشركوا به** » أى لا تشركوا به ... على تقدير المتلو أن لا تشركوا والمحرم أن تشركوا « **شيئا** » ، « **وبالوالدين احسانا** » أى أحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة للدلالة على أن ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما « **ولا تقتلوا أولادكم من املاق** » من أجل فقر ومن خشية « **نحن نرزقكم واياهم** » .. « **ولا تقربوا الفواحش** » كبائر الذنوب أو الزنا « **ما ظهر منها وما بطن** » .. « **ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق** » .. « **ذلكم** » اشارة الى ما ذكر مفصلا « **وصاكم به** » بحفظه « **لعلكم تعقلون** » ترشدون فان كمال العقل هو الرشد . « **ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن** » أى بالفعلة التى هى أحسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره « **حتى يبلغ أشده** » حتى يصير بالغا .. « **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** » بالعدل والتسوية « **لا نكلف نفسا الا وسعها** » .. « **واذا قلتم** » فى حكومة ونحوها « **فاعدلوا** » فيه « **ولو كان ذا قربى** » ولو كان المقول له أو عليه من ذوى قرابتكم « **وبعهد الله أوفوا** » يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية أحكام الشرع « **ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون** » تتعظون به .. « **وأن هذا صراطى مستقيما** » الاشارة فيه الى ما ذكر فى السورة فانها بأسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة .. « **ولا تتبعوا السبل** » الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات « **فتفرق بكم** » فتفرقكم وتزيلكم « **عن سبيله** » الذى هو اتباع الوحى .. « **ذلكم** » الاتباع « **وصاكم به لعلكم تتقون** » الضلال والتفرق عن الحق »[١٥٨] .

---

(١٥٧) سيد قطب . فى ظلال القرآن . المجلد الثالث الجزء ٨ . مرجع سابق ، ص ١٢٢٩

(١٥٨) الامام البيضاوى . انوار التنزيل واسرار التأويل . مرجع سابق . ص ١٩٦

ولا نعتقد أن نظاما ما يستطيع أن يكشف كل هذه القواعد الأساسية الراسخة المرتبطة بحياة البشر • والمنظمة لعلاقاتهم . لا نعتقد أن نظاما ما استطاع بمثل ما قدمه القرآن بهذا الأسلوب الدقيق . والمنهج السليم • « هذه القواعد الأساسية الواضحة التى تكاد تلخص العقيدة الاسلامية وشريعتها الاجتماعية مبدوءة بتوحيد الله ومختومه بعهد الله »(١٥٩) •

ذلك العهد لله الذى شمل قوله الحق والعدل ولو كان متعلقا بقريب . ذلك العهد لله الذى يتضمن توفية الكيل والميزان بالقسط . كما تضمن عدم قرب مال اليتيم الا بالتى هى أحسن . ومنه كذلك حرمة الاعتداء على النفس الا بالحق . وقبل ذلك كله عهد بعدم الاشراك بالله رب العالمين • وذلك هو العهد الأكبر الذى أخذه الله على فطرة البشر بحكم خلقها متصلة بمبدعها شاعرة بوجوده فى النواميس التى تحكمها من داخلها كما تحكم الكون من حولها(١٦٠) •

* * *

(د) صور العلاقات الانسانية :

وتتضمن هذه الصور العلاقات الانسانية بشتى جوانبها : علاقة الفرد بخالقه . علاقة الفرد بمجريات أحداث الحياة . علاقة الفرد بأفراد المجتمع . كما تتضمن الاتزان فى القول والعدل بين الناس وسنتحدث عن كل من هذه العلاقات فيما يلى :

أولا ــ علاقة الفرد بخالقه : واذا تمت هذه العلاقة فى اتزان . وادرك الفرد أن الله سبحانه هو وحده المتوكل أمر العباد وعليه المعتمد . واذا تم هذا فقد تحقق للفرد الاطمئنان والاستقرار فى الحياة قال تعالى : **« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب »**(١٦١) •

ثانيا ــ علاقة الفرد بمجريات أحداث الحياة : كون الفرد ايجابيا مع أحداث الحياة اليومية . يستجيب لندائها ؛ فلا استغلال ولا نفعية . ولا أنانية ولا فردية ؛ وانما تعاون وتبادل فى المنفعة وايثار • وكون الفرد كذلك فسوف يضمن لنفسه الاطمئنان وراحة البال فى حياته •

---

(١٥٩) سيد قطب . فى ظلال القرآن . المجلد الثالث ، ج ٨ ، مرجع سابق . ص ١٢٣٤

(١٦٠) المرجع السابق . ص ١٢٣٣

(١٦١) الرعد : ٢٨

والعكس كذلك صحيح . فقد استنكر الاسلام النزعة الفردية وخصوصا اذا تعارضت مع مصلحة الجماعة وهدفت فقط الى تحقيق مصلحة شخصية . استنكر الاسلام هذا الأسلوب . قال تعالى : **« وان منكم لمن ليبطئن فان أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتنى كنت معهم فأفوز فوزا عظيما »**(١٦٢) .

ثالثا ــ علاقة الفرد بأفراد المجتمع : سلوك الفرد ونوعيته هى المحور الذى ترتكز عليه شخصية الفرد وتقبل الجماعة له . وكلما تهذب سلوك الفرد . ولم يترتب عليه ايذاء لأحد كلما كان متقبلا من الجماعة متواكبا مع اتجاهاتها . قال تعالى : **« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير »**(١٦٣) .

وقال جل شأنه : **« يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا »**(١٦٤) .

وقال تعالى : **« فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذى اؤتمن أمانته »**(١٦٥) .

وقال تعالى : **« ولا تنسوا الفضل بينكم »**(١٦٦) .

وقال تعالى : **« ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور »**(١٦٧) .

رابعا ــ الاتزان فى القول والعدل بين الناس : رتب الاسلام على هذه الركيزة تفادى الخصومة . فأوجب الاتزان فى القول والعدل فى المنطق . فيما يترتب عليه قضاء حق لفرد أو لجماعة ، مهما كانت الدوافع التى تحاول أن تنحرف بالانسان عن العدل والاتزان . قال تعالى : **« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون »**(١٦٨) .

وقوله سبحانه : **« وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ، ان الشيطان ينزغ بينهم ، ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا »**(١٦٩) .

---

(١٦٢) النساء : ٧٢ ، ٧٣
(١٦٣) لقمان : ١٨ ، ١٩
(١٦٤) المجادلة : ١١
(١٦٥) البقرة : ٢٨٣
(١٦٦) البقرة : ٢٣٧
(١٦٧) الشورى : ٤٣
(١٦٨) الأنعام : ١٥٢
(١٦٩) الاسراء : ٥٣

من هذا المنطلق يحدد الفرد بتصرفه الشخصى مقومات صالحة لذاته وصالح الجماعة التى يعيش فيها . ودينه الاسلامى الذى هو فرد منه • ولا شك أن تلك الركائز الأربع كل ما يتصور فى دائرة الفرد من علاقات(١٧٠) •

وأخيرا فالفرد المؤمن المسلم هو ذلك الانسان الذى يبغى أن يكون انسانا مهذبا فى قوله مطمئن النفس والبال فى حياته . ايجابيا فى الحياة بعمله . ولكنه لا يقصر ايجابيته تلك على منفعته وحده •

* * *

*** تعقيب :**

هذا البحث اشتمل على جوانب متعددة . وجاء موجزا فى كثير من الجوانب التى تطرق اليها • غير أننا لا نجانب الصواب حين نقول : انه وضع اللبنة الأولى فى كيان البنية الاجتماعية . اذ كيف يتصور مجتمع بدون علاقات ، أو بدون تبادل منفعة بين أفراده •

ولعلنا فى هذا البحث . قمنا بعرض واجهة العلاقات الانسانية ، فى المدرسة ، كمؤسسة تربوية أقامها المجتمع . وأنفق عليها ، وعهد اليها ببناء الأجيال للمستقبل القريب والبعيد •

غير أننا أيضا وضعنا للفرد المسلم ، صنوف التبادل المنفعى فى المجتمع ، وممارسة العبادات على تعددها ، وكيف يمكن بناء العلاقات الانسانية الصحيحة على هدى من السلوك السليم فى ظل المبادىء الاسلامية •

ولقد كان الفرد المسلم . بجميع مقوماته النفسية والاجتماعية والأخلاقية سعيدا حينما ظهر أن العبادات كلها يمكن أن تستثمر كباعث على الصلة الحسنة بالأفراد داخل المجتمع وخارجه على السواء •

والاسلام فى هذا يفوق ما سبقه من ديانات ، وما ظهر من أنظمة وضعية ، لا يمكن أن تضاهى من قريب أو بعيد تلك الأسس والمبادىء التى أقامها الدين الاسلامى ، ووضع لها قواعد سليمة فى ظل الحق والعدل والخير والسلام •

* * *

---

(١٧٠) محمد البهى . الانسان فى حياة المسلم . مرجع سابق ، ص ٥٥ — ٥٧